

التحفة النبهانية

في

تاريخ الجزيرة العربية

مزينة بالرسوم

تأليف فريد العصر والأوان . العالم الشيخ محمد بن العلامة الشيخ
خليفة بن حمد بن موسى النبهاني الطائي ثم المكي المالكي
المدرسين بالمسجد الحرام كان الله لهما عونا
ومعينا — آمين

﴿ الجزء — ١٠ — المنتفق ﴾

الطبعة الثانية — سنة ١٣٤٤ هـ ق — ١٣٠٤ هـ ش

طبعت بالمطبعة المحمودية التجارية الكائن مركزها العمومي بميدان
الجامع الازهر الشريف بمصر — لصاحبها ومديرها
(محمود علي صبيح)

http://alsaadoon.com/info/mobiles.php?action=show &id=5

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وتابعيهم ومن والاهم إلى يوم الدين (وبعد) فإنني قد أشرت فيما طبع من التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية إلى أنني قد رتبت كتابي هذا على حسب السنين العربية القمرية ونظائرهم بالميلادية. وجعلت رموز الشهور العربية كما هو معروف لدى علماء الهيئة من محرم (م. ص. را. ر. جا. ج. ب. ش. ن. ل. ذا. ذ)[1] وإن القصد من جمع هذا التاريخ هو إحصاء الفائدمحمد.طاقة بصورة مختصرة اقتصاداً في الوقت وتسهيلاً للمراجعة.

وجعلت ابتداءه من حين بزوغ شمس الإيمان بظهور نبينا محمد ﷺ . على أنه إن اقتضى البحث أو الموضوع بأن أذكر شيئاً قبل ذلك فإنني أذكره حسب ما يظهر لي معتمداً على أجل الكتب التي سأذكر أسماءهم إن شاء الله في آخر جزء من هذا التاريخ.

وإنني كنت قد قمت بتهييء رحلة عمومية في جزيرة العرب وبالأخص في أواسطها لكي أحيط بجل هاتيك البقاع المجهولة حتى عن أهلها أنفسهم.

ولكن لنشوب الحرب العظمى وقف تيار همتنا وتراجع عزم فكرنا عن ذلك. فاقتصرنا على ما سطرناه (لأن معظم ما جمعناه في عنفوان نشاطنا سلب منا مع قسم من رسوم وصور ومناظر نادرة الوجود ضمن مؤلفاتنا العديدة). وكنا قد بذلنا قسماً لا يستهان به من ثروتنا في اقتناء تلك النوادر والملح وتخليصها من أيدي محبي العلم والفنون القديرين على ذلك. وإنني قد زدت بعض مسائل خارجة عن موضوع التاريخ وتفاسير رأيت الحاجة ماسة إليها وهذا ما دعاني لأن أكتب عن وضع تاريخ بمعناه الحقيقي.

ولم أضع في أوائل الأجزاء أو أول المباحث مقدمات أو توطئات أو نظريات للأمور اختصاراً للفائدة واقتصاداً في الوقت وخوفاً من سآمة

---

(1) لم نتقيد بهذه المختصرات بل كتبنا اسم الشهر كاملاً ا هـ مصحح .

القارئ. ثم إنني ألحقت في كل جزء جدولاً بأسماء الوفيات من الفقهاء والعلماء والأدباء. وقسماً من الأعيان مع الإشارة إلى الأعمال التي برعوا فيها أو أخلدت لهم ذكراً حسناً وأن جميع كتبي قد نسقتها على خطة جديدة يعرفها القارئ عند المراجعة. وبذلت جهدي في وضعها على طريقة تذلل العقبات أمام المؤرخين الذين يأتون من بعدنا حيث إن تاريخ جزيرة العرب غامض حتى عن أهلها أنفسهم. وإن بعض المؤرخين والصحفيين قد نشروا قسماً من مباحث تاريخنا الذي طبع. وقسماً مما ألقيناه على تلامذتنا في مسقط وفي البحرين وفي البصرة. بل أقول إن قسماً من أوراقنا اختلست منا في البصرة ونشرت ولم تنسب لنا ومع ذلك فلا لوم على الناشر لأن المقصد واحد وهو بث العلوم والفوائد. وقد أدخلت في مؤلفاتي تحسنات جمة مفيدة لمن يعي.

وإننا قد فكرنا في ذلك المنهج منذ أعوام وجعلنا نقدم رجلاً ونؤخر أخرى. خوفاً من حسود معاند. أو من محاب مارد. بيد أن الظروف ألجأتنا إلى وضعه ونشره.

والله أسأل أن يلهمنا رشدنا ويهدينا سواء السبيل. علي أنني مرجح ما قاله الشيخ محمد بن قاسم الغنيم الزبيري في آخر نظمه لمتن زاد المستنقع في مذهب الإمام أحمد بن حنبل. حيث يقول:

لا يسلم الفاضل من أهل الحسد ... وإن توارى بالخمول وانفرد

وهو قديم داؤه في الناس ... وحاسد يكفيه ما يقاسي

ومن إلى المرآة يوماً نظراً ... فعين ما يرى فيها يرى

فالأرمد الأحول فيها أحولا ... والأحور الأكحل فيها أكحلا

وقسمة الأفهام قسمة النظر ... والمرء لا يبصر غير ما ظهر

الشيخ محمد بن الشيخ خليفة النبهاني

الحالة الطبيعية

(الموقع والحدود) عرض لواء المنتفق ممتد من قضاء (الكوت) الملحق بولاية بغداد والواقع شرقي اللواء إلى صحراء (الشامية) الواقعة في غربية. ويقدر بمسافة (100) ميل وطوله من حدود قضائي (الديوانية. والسماوة) التابعين للواء (الحلة) إلى لواء (العمارة) الواقعة في جنوبية يقدر بنحو (124) ميلاً. ويمر من وسط اللواء نهر الغراف (نهر الحي) الذي صدره يقابل قصبة الكوت. فيروي أراضي (الحي. والشطرة والناصرية) ثم يصب في الفرات على بعد نحو ميلين جنوب قصبة الناصرية.

(الجو) أما الحي والشطرة ففي الدرجة الأولى من جودة الهواء. وأما (سوق الشيوخ) فأردؤه هواء. وأما (الحمار والناصرية) فهواؤهما متوسط بين القسمين.

(المنظر العام) أراضي اللواء هي مُنْبتَةٌ على الإطلاق وحاصلاتها متوفرة غير أن غالب أراضي (سوق الشيوخ والحمار) يغمرها في الغالب الماء إبان الزيادة فلذلك ترى زراعتها متأخرة وأسباب عمرانها بطيء. وإن لواء المنتفق ليس به جبال ولا آكام وإن أرضه تروي بواسطة الأنهر. سوى أن نهر الغراف يتناقص ماؤه زمن الصيف فيضطر غالب الناس إلى حفر آبار فيه للشرب حيث إن ما يصل إليه الماء زمن من الفصول الثلاثة من الأراضي لا يلحقها الماء زمن الصيف إلا بالدلاء أو بالمضخات. ومن ثم لم ترغب الأهالي في غرس النخيل ولا الأشجار. ولكن يوجد في (الحي والشطرة. وقلعة سكر) بعض البساتين وهم يسقونها (بالسواني أي الدواليب).

(الأنهار) في اللواء نهر الغراف الذي عليه مدار حياة أهل اللواء وهو يمُرُّ بقصبة الحي وقلعة سكر والكرادي. ثم يتفرع إلى فرعين: أحدهما يسمى نهر الشطرة لمروره عليها. والآخر يسمى نهر البدعة. والثاني نهر الفرات الشهير وهو يمر على الناصرية ثم ينساب من وسط سوق الشيوخ ومنه إلى الحمار فيتشكل هناك غدير يسمى (هور الحمار) ثم يسير النهر مستمراً على مجراه القديم فيمر على (القرنة) فيقترن هناك بنهر دجلة كما في تاريخ البصرة (صفحة216) وأهالي اللواء قليلون بالنسبة لحالة الأراضي الطبيعية.

وأهم الجداول فيه (السديناوية. المايبة. السايح. فالحية. الطليعة. المصقر. المعيدية. بُويترين. غُليوين. مجيشية. سفحة. أم نخلة). ويتفرع من

كلٍّ نهيراتٌ صغار وينتهي قسم منها بالغدران (الأهوار) الكثيرة العدد الموجودة في هذا اللواء. وينتهي القسم الآخر إلى المزارع. أو إلى الصحراء.

(القبائل القاطنة) في لواء المنتفق أشهرها بنو أسد. آل إبراهيم. الخفاجة. بنو ركاب. أزيرق. حكيم. بنو زيد. الضفير) ومعظم هذه العشائر تقطن على ضفاف الأنهار وعلى حافة الغدران "الأهوار" وهي تشتغل بالزراعة سوى قبيلة الضفير فإنها رحالة.

(الضفير) أعراب منبثون في بادية العراق. وكانوا تحت زعامة آل سعدون إلى نشوب الحرب العظمى سنة (1332هـ 1914م) كما سيأتي والرئاسة فيهم في "آل ابن سويط" منذ ثلاثة قرون أو أكثر وهم بطن من سُليم أهل شجاعة وبأس. وهم مؤلفون من عدة فخائذ تحالفوا أو تسموا "بالضفير" وفي أوائل القرن (11هـ 17م) تقريباً تَرَيَّس فيهم أحد بني سويط حيث إنه في سنة "1080هـ 1668م" كان رئيسهم "سلامة بن مرشد بن سويط" وكذلك كان هو الرئيس فيهم في عام (1096هـ 1684م) وفي آخر سنة (1139هـ 1725م) مشى شهيل بن سويط رئيس الضفير ببعض قبائل المنتفق وصحبهم (دجيني ابن سعدون بن عرعر) آل حميد وقصدوا الأحساء وحاصروا فيها الأمير علي بن محمد. وجرت بينهما عدة معارك قتل فيها كثير من الطرفين. ونهب ابن سويط بعض قرى الأحساء. ثم تفوق عليهم الأمير علي وكسرهم ففروا مهزومين. ثم بعد مدة تصالحوا. وكانوا معدودين في عشائر نجد ثم ظعنوا منه قاصدين العراق سنة (1224هـ 1808م) فراراً من ثورة الوهابية الذين استفحل أمرهم في ذلك الزمن. فاستوطنوا بادية العراق وكان عدد خيامهم وخدورهم نحو "4000" مضرب. وعدوا في عشائر العراق إلى سنة "1345هـ 1927م" حيث توفي رئيسهم حمود بن نايف بن سلطان بن سويط. فعينوا في محله " عجيمي بن شهيل بن سلطان بن سويط" بشرط أن يسعى في إنقاذهم من التكاليف والضرائب الموضوعة عليهم من قبل الحكومة العراقية فتعهد لهم بذلك. ولما أخذ بزمام المشيخة واستتب له الأمر تذاكر مع الحكومة العراقية في رفع بعض الضرائب المجحفة فلم يَرَ لقوله تأثيراً ولم يُسْمَعْ له كلام. فتوجه نحو (مكة المشرفة) مظهراً قصد أداء فريضة الحج. ولما وصل مكة اجتمع بالأمير ابن سعود ملك الحجاز وسلطان نجد وتذاكر معه مَليّاً.

فلبى الأمير طلبه وأقره على رئاسته وعين له راتباً بعد أن أكرمه ببعض الهدايا. وأعفى عشائره من بعض الرسوم والتكاليف المزعجة. ولما عاد من الحجاز نقل عجيمي المذكور قومه وأعرابه إلى "أم رضمة" حذاء حدود العراق. وكان معه جماعة من علماء الإخوان ليوقفوا قومه على أمور الدين.

ثم إن "هزاعاً بن مجلاد" شيخ قبيلة "الدهامشة" اقتفى خطة عجيمي ابن سويط. ثم انضم إليهما بعض من عشيرة العمارات التابعة "لفهد بيك بن هذال".

الحالة الاقتصادية

(الزراعة) غالب زراعتهم الحبوب ففي المائة (60) حنطة وشعير. و(30) أرز. وذرة. ودخن. وما بقي فسمسم. وكشري (ماش) والمزروعات المستنبتة عندهم على قسمين: (مائي. وكبسي) فالمائي ما سقي من الأنهر والجداول. والكبسي هو ما زرع في الأراضي التي كان الماء قد غمرها فإذا نضب عنها الماء يبذر فيها فينمو بالرطوبة الباقية في الأرض. وإن غالب أراضيهم تزرع سنة كبسي وأخرى مائي. ويقولون: إن زراعة الكبسي أوفى بركة وأكثر نماء. ومن مزروعاتهم النخيل "ومن الخضر" البامية. والباذنجان الأسود. والأحمر. والدباء بأنواعها الثلاثة.

(الفواكه) العنب. التين. الرمان. المشمش. البطيخ بنوعيه الأخضر والأصفر.

(الحيوانات الأهلية) أو الداجنة. الإبل الخيل. الجاموس. البقر. الضأن. الماعز. الحمير.

(الحيوانات المفترسة) السبع. الذئب. الخنزير. ابن آوى. والثعلب.

(الصيد) الظباء. الأرانب. الأوز. البط. الحباري. وقسم مهم من أنواع الطيور. كالشقراق. والبرهام. والقطا. والحجل. ونعيج الماء (بط نهري) ونحوها. فإنهم يأكلون لحومها ويجمعون ريشها للبيع حيث تتخذ منه الوسائد.

(الصناعة) ليس لديهم شيء من الصناعة سوى أنه ينسج في (سوق الشيوخ) الأعبئة النفسية الرقيقة. وتعتني، الصابئة الذين يسكنون الناصرية وسوق الشيوخ بصياغة الحلى المكفت "شغل الصَّبة".

(التجارة) هي عبارة عن تصدير السمن. والجلود. والحبوب وكلها بالنسبة لسائر اللواء في الدرجة الثانية.

في سوق الشيوخ: ضريح أبي يعلي الصحابي رضي الله عنه.

في الحي: ضريح أبي ذر الغفاري الصحابي رضي الله عنه.

في الحي أيضاً: ضريح سعيد بن جبير التابعي رضي الله عنه.

في الجزيرة من (البطائح) ضريح السيد أحمد الرفاعي أحد المشايخ الصوفية الكبار المتوفى سنة (578هـ) وعمره (66) سنة. وهو في موضع يبعد عن مركز قضاء الحي بنحو (36) ميلاً يقال له: (أرض أم عبيدة) وكان العثمانيون قد بنوا هناك مسجداً كبيراً محيطاً بالضريح. وحجراً لسكني الزوار والخدم. وكان العثمانيون ينفقون على الخدمة من ريع (الأملاك المدورة) إلى سنة (1333هـ 1915م) حيث انسحبت الجنود العثمانية من هناك فهجمت العشائر على المسجد فنهبت ما على القبة من الكساء وأثاثات المسجد وفراشه. ثم إنهم بعد ذلك تجاسروا على قلع خشب الأبواب والنوافذ فظل المسجد خراباً إلى سنة (1342هـ 1924م) فنهض الموفق للخير السيد إبراهيم الراوي شيخ الطريقة الرفاعية في العراق. وجمع من محبي الديانة مبلغاً كافياً من النقود وشيد المسجد والضريح فأعادهما كما كانا سابقاً.

الآثار القديمة

يوجد اليوم في جنوب الناصرية على مسافة (10) أميال منها بالقرب من محطة (المقير) محل يقال له "تل المقير" أو (أور الكلدان) وذلك التل هو من بقايا مدينة قديمة من زمن الكلدانيين كان نهر الفرات يمر من حذائها. وإن النقابين يبحثون فيها وقد استخرجوا منها آثاراً كثيرة.

وإن من الآثار ميال منه التي استخرجت حديثاً في عام (1342هـ 1924م) هيكل الآلهة يقال: إن تاريخه يعود إلى (6622ق هـ 6000ق م).

وكذلك يشاهد السائح في الشمال الشرقي من الشطرة خرائب لاغاش (تللو) وهي خرائب بلدة قديمة واقعة جنوب (الكرادي) كان يسميها (البابليون) (لارستا) التي هي من بقايا مدن الكلدان القديمة وقد بحث النقابون فيها كثيراً وعثروا على شيء من صفائح الذهب والحجارة الثمينة والصدف والهياكل ونحوها.

الحالة السياسية

(المساحة) تقدر مساحة لواء المنتفق بنحو (20) ألف ميل مربع.

(السكان) تقدر نفوس اللواء بنحو (250) ألف شخص منها (1600) صابئة - و(1500) يهودي - و (92) ألف شخص سني المذهب. وما بقي فشيعة جعفرية. (الشعار): فالسنة يضعون على رؤوسهم العقال ومن تحته (صمادة) حمراء. وسادة النسب يلبسون العمامة الخضراء. أما الشيعة فالعامة يضعون من تحت العقال الصمادة الزرقاء. والسادة منهم يلبسون العمامة السوداء. بل إن هذه العادة جارية عند غالب العراقيين. ولواء المنتفق متشكل من أربعة أقضية "الناصرية. وسوق الشيوخ. والشطرة. وقلعة سكر".

1 - (قصبة الناصرية) وهي مركز اللواء. واقعة في الجانب الشرقي من نهر الفرات. وهي مدينة حسنة الأسواق وطرقها مستقيمة واسعة. وهي لطيفة الترتيب معتدلة الهواء.

وأول من اختطها ناصر باشا ابن راشد السعدون سنة (1285هـ 1867م) فنسبت له. وقد جعل طرقاتها وجادتها على الطراز الحديث وبها جامع ذو منارة مشرفة على الفرات. وفي داخل البلدة مسجد آخر ذو منارة أيضاً. وبها أبنية ضخمة كصرح الحكومة والمستشفى. وغالب أهلها مسلمون من أهل السنة والجماعة ومقلدون مذهب الإمام مالك بن أنس إمام الأئمة وإمام دار الهجرة رضي الله عنه. وتقدر نفوس الناصرية بنحو (15) ألف شخص. وفيها دائرة للبريد والبرقي. وفيها ثلاثة حمامات. وستة أسواق. وفي الجانب الغربي من الفرات بساتين وحدائق. ويربطها بالجانب الشرقي جسر من الخشب. كما وأنه يقرنها بمحطة المقيَّر خط حديدي صغير.

ويتبع الناصرية (ناحية أبي قداحة. والعكير. والمقير) ومن القرى (البطيحة. والكوت).

2 - (قصبة سوق الشيوخ) هي شمال الناصرية على مسافة (15) ميلاً. وواقعة في الجانب الغربي من الفرات. فيحدها شمالاً وشرقاً الفرات. وجنوباً وغرباً صحراء الشامية. والبلدة صغيرة. وهواؤها وخيم. والماء محيط بها من غالب جهاتها (أنهر. ومستنقعات. وغدران) كما وأن حدائق النخيل محيطة بها. ولها أسواق حسان في الجملة.

وشوارعها ضيقة. وبها جامعان أحدهما في وسط البلدة والآخر قريب من الفرات. وأهلها غالبهم مسلمون ومعظمهم من أهل السنة. وأن سوق الشيوخ هو محط الرحل من الأعراب. ومحل مسابلة أهل البادية القاطنين في صحراء الشامية. ومن ثم فالتجارة فيه رائجة. والأبنية فيه كثيرة. ونفوسه متزايدة. فتقدر اليوم بنحو (25) ألف نسمة. وبه تنسج الأعبئة الرقيقة. وغالب أهله (ملاكون) والبقية تجار وفلاحون.

وإن أول من اختطه رئيس المنتفق، الشيخ ثويني بن عبد الله زمن إمارته الممتدة من الغراف إلى البصرة إلى قرب الكويت. لأنه لما أصبح نفوذه سائداً على كثير من عشائر العراق ونجد. وكان معه في غزواته سوق متنقل معه. وهو عبارة عن خيام فيها تجار وباعة ينزلون قريباً من الأعراب إذا خيموا. فتقوم سوقهم ويعرضون فيها ما يحتاجون إليه من الألبسة والأواني وأنواع الأثاثات. ويتعوضون بدلها (الوبر. والصوف. والشعر. والدهن) ونحو ذلك ـ وإنه يوجد مثل هذا السوق إلى يومنا هذا مع القبائل الرحل ـ ثم إن عشائر الشيخ ثويني رغبوا في أن تقام لهم سوق دائمية قريبة من الفرات. فأمر الشيخ ثويني أصحاب سوقه المتنقل معه بالإقامة في الصقع الذي يرى فيه اليوم (سوق الشيوخ) لطيب مائه في ذلك الزمن بالنسبة لما جاوره ولكثرة مرعاه فخطط السوق من ذلك الحين ونسب إليه. وقيل: إنه كان موجوداً قبل ذلك ويسمى (سوق النواشي) باسم عشيرة عراقية وكان الشيخ ثويني يدين التجار الدراهم بكثرة وإذا احتاج إليها أخذها منهم. وكان غالب مشائخ القبائل يمتاورن من ذلك السوق فعرف باسم الكل وترك اسم سوق النواشي. وعلى كلا القولين فإن تأسيسه كان في أواخر القرن (12هـ 18م) وبقي هذا السوق رائجاً إلى أن قتل ثويني سنة (1212هـ 1796م). كما ستعلمه. ثم صار مركزاً لمهمات مشايخ المنتفق مخزناً لذخائرهم ومؤنهم وملجأ حصيناً لهم.

ثم لما ضعفت شوكة المنتفق وحصل التنافر فيما بينهم انحطت أهمية ذلك السوق. ثم في سنة (1288هـ 1870م) جعلت الحكومة العثمانية ذلك السوق (قضاء) ولكنه ظل آخذاً بالتقهقر والانحطاط حتى صار في سنة (1315هـ 1897م) بمنزلة (مديرية) وإن كان يحكمه قائم مقام. ثم بعد إعلان الدستور عام (1326هـ1908م) أخذ بالتقدم والارتقاء ولم يزل عارجاً في سلم التقدم والحضارة.

وفي اتجاه البلدة في الجانب الآخر على الفرات قرية صغيرة تسمى (محلة الصبة) بيوتها من القصب بين بساتين ملتفة وماء الفرات يجري في شوارعها. وأهلها صابئة. وحرفتهم الحدادة وصياغة الحلى وتكفيته.

ويتبع سوق الشيوخ (ناحية الحمار. وبنو سعيد. وعكيكة) ومن القرى (قرية الخميسية. وأم بطوش). (قرية الخميسية) اختطها الحاج عبد الله بن خميس النجدي سنة (1306هـ 1888م) فنسبت له. وهي واقعة جنوب غربي سوق الشيوخ على مسافة نحو (8) أميال منه.

3 - (قصبة الشطرة) هي واقعة على نهر الغراف وتبعد عن الناصرية في السفن الشراعية بنحو (6) ساعات. ومن جهة البر بنحو (17) ميلاً. وموقعها في وسط اللواء وحديثة العمران. أنشأها فالح باشا ابن ناصر باشا السعدون سنة (1298هـ 1880م) لما ضمن خراج المنتفق. وأما الشطرة القديمة فهي تبعد عنها بنحو (15) ميلاً.

وتقدر نفوسها بنحو (17) ألف شخص. وهي اليوم محل مسابلة غالب العشائر والأعراب. وتجارتها واسعة. وجل أهلها يشتغلون في البيع والشراء. وهي آخذة في التوسع والعمران. وفيها مسجد للصلاة.

وكان نهر الشطرة واسعاً جداً ويسكن على ضفافه كثير من العشائر. ثم أخذ ماؤه يقل شيئاً فشيئاً (لعله في القرن 13هـ 19م) بعد أن فتحت قناة البداع. فهاجر قسم من القبائل التي كانت تقطن أراضيه عقب حدوث جدب ومحل في أراضيهم كعشائر (خفاجة. وعبودة. والأزيرق). إلى نواحي البصرة فأسسوا هناك لهم قرية تسمى (محلة أخوات رزنة) وجعلوا يشتغلون في البصرة بالحمالة وبالبناء. ووضع التمور في الصناديق مصفوفاً. ونحو ذلك من الأشغال البسيطة. كما وأن قسماً منهم هاجروا إلى أماكن أخرى.

ثم إن نهر الشطرة أبدل صدره في أول القرن (14هـ 20م) فأخذت المياه تنساب فيه بوفرة.

ويتبع الشطرة (ناحية دواية) فقط.

4 - (قلعة سكر) هي عبارة عن قرية واقعة على نهر الغرَّاف وقد جعلت أخيراً مركزاً لناحيتها وتقدر نفوسها بنحو (2000) شخص. وحرفتهم الزراعة.

ويتبعها (ناحية الكرادي). مركزها قرية الكرادي التي أسست عام (1317هـ 1899م) تقريباً. وموقعها في جنوب مركز القضاء على مسافة نحو (12) ميلاً. وهذه القرية آخذة بالنمو. لأن تجارتها الداخلية أوسع من تجارة (قصبة قلعة سكر) حيث إن بعض سكان الشطرة جعلوا ينقلون مساكنهم إليها تدريجياً لقلة مياه الشطرة. ويتبع القضاء من القرى (الكرادي. منافر. أبو هاون. سويق بن شقيان. سويد شمير).

5 - (قصبة الحي) وهي واقعة على نهر الغراف. وتقدر نفوسها بنحو (16) ألف نسمة. وكان الحي يعد قرية من قرى البطائح وكانت قصبتها البطيحة. ثم صارت واسطاً. ثم الحي. ويسمى (حي واسط) و (جزيرة السيد أحمد الرفاعي) وكل هذه الأسماء لقرى واقعة بين نهري دجلة والفرات (ويحدها) من جهة الشرق والجنوب والغرب دجلة والفرات. ومن الشمال (كوت الإمارة) فتصير هذه القرى في جزر بين النهرين. وفي كل زمان تشتهر باسم القرية التي يستوطنها أمير تلك القرى. وفي زماننا هي مشهورة باسم (الحي) وبها مسجد للصلاة. ثم لما تشكلت الحكومة العراقية سنة (1339هـ 1921م) ألحقت الحي بقضاء الكوت.

البطائح

جمع بطيحة وهي واقعة بين واسط والبصرة. ونذكر بحثها هنا لمناسبة احتلال المنتفق لهما كما سيأتي: وإلا فموضع بحثها في تاريخ البصرة. ولكن لما عزب عن فكرنا وضع البحث هناك وضعناه هنا للمناسبة المذكورة.

وكانت البطائح قديماً قرى متصلة وأرضها عامرة آهلة بالسكان. فاتفق في أيام (كسرى أبرويز) المتولي على مملكة الفرس سنة (33ق هـ 590م) أن زادت دجلة زيادة فاحشة وزاد الفرات أيضاً على خلاف العادة فعجز عن سد بثوق المياه فتبطح الماء في تلك الديار والعمارات والمزارع فطرد أهلها عنها. ولما غيض الماء وأراد (أبرويز) العمارة أدركه أجله فتوفي[1] فتربع على المملكة ابنه (شيرويه) عام (7هـ 628م) فلم تطل مدته. ثم تقلد الحكم بعض نساء لم تكن فيهن كفاءة وعجز الكل عن العمارة.

ثم لما أشرقت شمس الإسلام واشتغل الناس بالحروب لم يلتفت المسلمون إلى عمارة الأرضين: فلما استقرت قواعد الدولة الإسلامية

---

(1) وأبرويز هذا هو الذي قتل النعمان بن منذر الثالث ملك (الحيرة) سنة (13 ق هـ 609م) قرب النجف، وولى بعده على الحيرة (إياس بن قبيصة الطائي) ولستة أشهر من ولاية إياس بعث نبينا محمد ﷺ. أي في عام (610م). كما في تاريخ البصرة (ص 202). وإن إبرويز هو الذي أرسل إليه صاحب الشريعة الإسلامية عليه الصلاة والسلام كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام مع عبد الله ابن حذافة السهمي سنة (7 هـ 628م) فلما حضر عبد الله أمام أبرويز سلمه الكتاب وهذا نصه (بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم الفرس. سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله: أدعوك بدعاية الله فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين. أسلم تسلم فإن أبيت فإنما عليك إثم المجوس) فقرأه (أبرويز) فلما انتهى منه مزقه وأساء إلى حامله. وكتب إلى عامله باليمن يأمره بأن يغزو المدينة المنورة ويأتيه برسول الله أسيراً. وعاد عبد الله إلى النبي ﷺ وأخبره بما فعل أبرويز فقال (اللهم مزق ملكه كما مزق كتابي) فلما قتل أبرويز ورقي ابنه عرش مملكة فارس كتب إلى عامله باليمن ينهاه عن مقاتلة رسول الله ﷺ.

وفي عهد أبرويز أيضاً حدثت المعركة الشهيرة (بوقعة ذي قار) بين الفرس والعرب التي انتصر فيها العرب انتصاراً باهراً على الفرس عام (13 ق هـ 609م). ثم إن أبرويز قتله ابنه شيرويه وأخذ الملك لنفسه كما في تاريخ البصرة (ص 203) والبحرين (ص 55). ولم يملك شيرويه إلا بضعة أشهر حتى قتل وخلفه أردشير الثالث سنة (8 هـ 629م) مَلَّكَهُ الفرس وهو طفل فجعلوا له نائباً ليقوم بأمره وهو (رئيس الوزراء) المسمى جسنس. ولكن الأمور في الحقيقة هي بأيدي النساء فحصلت الاضطرابات الداخلية. ا هـ.

استفحل أمر البطائح وتهشمت مواضع البثوق وتغلب الماء على النواحي ودخلها العمال بالسفن فرأوا فيها مواضع كثيرة عالية لم يصلها الماء فبنوا فيها القرى وسكنها قوم من العرب وزرعوها (أرزاً) وجعلوا فيها بعض بساتين. ويقال: إن أول من قلع القصب منها وزرع الأرز في أماكنه (هو عبد الله ابن دراج) مولى معاوية ابن أبي سفيان.

ويقال: إن مساحة البطائح كانت ثلاثين فرسخاً في مثلها. وكانت (قرية واسط) حسنة لتوسطها بين البصرة والكوفة. وكانت كثيرة البساتين والأشجار قريبة من نهر الحي (نهر الغراف).

وإن أول من اختط بها المنازل الحَجَّاج بن يوسف الثقفي عام (83هـ 702م) وفرغ من عمارتها عام (86هـ 704م) واتخذ فيها قصراً للإمارة والحكم. وكتب إلى عبد الملك بن مروان يعلمه ذلك كما في تاريخ البصرة (ص 346).

وكانت تسمى (مدينة الحجاج) ومدينة واسط. وقد بلغت البطائح في إبان الدولة الأموية الشأو الأعلى وسارت الشوط الأبعد: وظلت عامرة آهلة بالسكان في عيش رغد إلى زمن حكومة الديلم حيث تغلب على تلك المواضع والقرى في أوائل دولة الديلم (بني بويه) أقوام من أهلها وتحصنوا بالمياه والسفن. فخرجت تلك الأراضي عن طاعة السلطان. وصارت تلك المياه كالخنادق لهم إلى أن انقرضت دولة بني بويه عام (447هـ 1054م) ثم لحقتها في التقلص الدولة السلجوقية سنة (589هـ 1192م) ثم لما استتب الأمر لدولة بني العباس سنة (132هـ 750م) رجعت البطائح إلى أحسن نظام وجباها عمالهم كما كانت في قديم الزمان كما سيأتي.

وكان اشتداد أمر البطيحة واستفحال (بني شاهين) بها في أواسط القرن (4هـ 10م) وذلك أنها كانت في بادئ أمرها كثيرة القصب والآجام. ولا عمارة فيها بل هي مأوى للبغاة واللصوص وقطاع الطرق. فدخلها (عمران بن شاهين الخفاجي) سنة (329هـ 939م) وكان يصطاد السمك والطيور منها. ثم جعل يقطع السبل وتحصن فيها حتى استفحل أمره وقويت شوكته واتخذ له مخافر على التلال التي بالبطيحة. فتغلب على تلك النواحي. وكان ذلك في أيام بني بويه فحاربه (معز الدولة) مراراً فالمرة الأولى عام (338هـ 949م) ثم حاربه مراراً إلى سنة (340هـ 951م) فلم يظفر به فصالحه وأمره على البطيحة سنة (1340هـ 949م) ثم نقض الصلح عام (344هـ 955م) ثم سار معز الدولة إلى أواسط عام (355هـ

965م) وجهز من هناك العساكر لقتال عمران مع أبي الفضل العباس بن الحسن. ثم قدم على معز الدولة من عمان (نافع مولى ابن وجيه صاحب عمان) يستنجده على استخلاص عمان فانحدر معز الدولة إلى الأبلة. وجهز له جنوداً في السفن. وأرسلها معه إلى عمان.

ثم عاد من الأبلة وطرقه المرض فجهز العساكر فسار قسم منهم إلى البطائح فنزلوا الجامدة وسدوا الأنهار التي تصب إليها وذهب القسم الآخر لقتال عمران. وعاد هو إلى بغداد فتوفي فيها فتولى بعده ابنه (عز الدولة بختيار) وأمر برجوع العساكر إلى أماكنها وعقد مع عمران الصلح واستمروا على ذلك مدة. ثم في عام (359هـ 969م) زحف نحوه بختيار بن معز الدولة حتى عسكر في واسط وجعل يتصيد ويتحين الفرص.

وفي مدته سدت بثوق الماء، فلما فاض الماء خربت تلك السدود واتخذ (عمران بن شاهين) معقلاً غير الذي كان مقيماً فيه ولما قصدته عساكر بختيار عام (359هـ 969م) لمحاصرته فأقاموا (بواسط يتصيدون ويتحينون الفرص عليه فلم يتمكنوا منه. وسئموا الإقامة في البطائح من شدة الحر وكثرة البعوض والضفادع وقلة مواد المعيشة. فاضطر بختيار لمصالحة عمران فصالحه ورجع إلى بغداد بعد العناء الشديد. في رجب عام (361هـ 971م). وكانت مدة استقلال عمران بن شاهين بالبطيحة (40) سنة. ولم يقدر عليه أحد من الملوك ولا من الخلفاء. وما ذلك إلا لشدة مناعة تلك الأراضي إذ كان صاحبها ذا قوة. ولما توفي عمران سنة (369هـ 979م) تولاها ابنه (الحسن بن عمران) في أيام عضد الدولة ابن بويه. فطمع عضد الدولة في البطيحة فأرسل وزيره نحوها بالجنود ولما وصل الوزير البطيحة أمر الجنود بسد أفواه الأنهار الداخلة إلى البطائح فضاع فيها الزمان والأموال وجاء وقت الفيضان. فبثق الحسن بعض تلك السدود فأعانه فيضان الماء فتهدمت السدود. فتفوق الحسن على الوزير. فاضطر عضد الدولة إلى مصالحته.

وفي سنة (373هـ 983م) قتل أبو الفرج بن عمران بن شاهين أخاه الحسن واستولى على البطيحة. فغضب الجنود لذلك فقتلوا أبا الفرج وعينوا في محله (أبا المعالي ابن أخيه الحسن) في السنة المذكورة.

وكان المظفر بن علي الحاجب أكبر قواد عمران بن شاهين وكانت له كلمة نافذة. فزور كتاباً عن لسان صمصام الدولة بن بويه يعهد إليه بولاية البطيحة. فعزل أبا المعالي وتولى هو مكانه في تلك السنة أيضاً. وأحسن

السيرة في الناس وظل إلى أن مات عام (376هـ 986م) فأخذ بزمام الحكم ابن أخته (أبو الحسن علي بن نصر) وتلقب (بمهذب الدولة) فعدل في الحكم وبذل الخير فقصدته الناس وأمن عنده الخائف وصارت البطيحة معقلاً لكل قاصد. واتخذها الأكابر وطناً فيها الدور الحسان. وهناك احتمى (القادر بالله) إلى أن صار خليفة. وبعمران البطيحة ضعف عمران بغداد وتقدمها وأخذ بالتقلص حتى إنه لجأ إليها (أبو نصر بن سابور الوزير) عام (392هـ 1001م) فاستوطن البطائح وتبعه الناس. وجعلت الأبنية تزداد فيها يوماً فيوماً.

وفي سنة (394هـ 1003م) هاجم (أبو العباس بن واصل) البطيحة فاحتلها وأخرج منها مهذب الدولة واستولى على أمواله فاضطرب أهل البطيحة ونفروا منه وظفروا بعسكره فأوقعوا فيهم. فخرج منها وتركها شاغرة.

ثم عاد إليها مهذب الدولة سنة (395هـ 1004م) واستولى عليها ومكث بها إلى أن توفي عام (408هـ 1017م) فتذاكر الجند في إقامة ابنه (أبي الحسين أحمد) فسمع بذلك ابن أخته (أبو محمد عبد الله بن نبي) فاستدعى الديلم والأتراك ورغبهم بالمال في إقامته على البطيحة وقرر معهم بعد ثلاثة أيام. وأخذ بزمام الحكم.

أبو محمد عبد الله بن نبي

وتسلم الأموال وذلك عام (408هـ 1017م) ثم بعد ثلاثة أشهر توفي. فاتفق أعيان البلدة على تولية:

أبي عبد الله الحسين بن بكر الشرابي

وكان الشرابي من خواص مهذب الدولة. وبقي على البطيحة إلى سنة (410هـ 1019م) حيث ساق (سلطان الدولة بن بويه) نحوه الجنود تحت قيادة (صدقة بن فارس المزيدي) فسار إليها واحتلها بعد أن أسر الشرابي عنده. وأخذ بزمام حكم البطيحة وظل بها إلى أن توفي عام (412هـ 1021م) فتعين في محله (شابور بن المرزبان) وجعل يدير أمور البلدة. ثم في سنة (418هـ 1026م) تخلص الشرابي من السجن بحيلة. وذهب إلى الخارج فجمع قسماً من أهل البطيحة كانوا قبل ذلك قد عصوا على أبي كاليجار الديلمي. فلما أتاهم الشرابي نظمهم وسار بهم يقودهم نحو البطيحة فاحتلها بعد معركة عنيفة. وأخذ بزمام الحكم فيها.

فلما بلغ الخبر (لابن المعبراني) جمع جموعه وسار بها نحو البطيحة وتحارب مع الشرابي حتى كسره. ففر الشرابي إلى (دبيس بن صدقة). واستولى (ابن المعبراني) على البطيحة وجعل يدير شئونها وكان رجلاً ميالاً إلى السلم أكثر من الحرب.

وفي سنة (420هـ 1028م) خطب بها لأبي كاليجار.

وفي عام (433هـ 1041م) زحف على البطيحة أبو نصر بن الهيثم واحتلها بعد قتال شديد. ثم أدى الخراج لجلال الدولة. ثم في عام (435هـ 1043م) ثار عليه الجند وشقوا عصا الطاعة وخطبوا يوم الجمعة لأبي كاليجار. فأخذ ابن الهيثم في تدبير أمره حتى نهض فتفوق على الجند وأدبهم حتى خضعوا لطاعته.

وفي سنة (438هـ 1046م) قصد البطيحة (علاء الدين أبو الغنائم بن الوزير ذي السعادات) وحاصرها. وكان بها ابن الهيثم المذكور وضيق عليه حتى اضطره إلى الصلح. ثم حصلت بينهما معركة في صفر عام (439هـ 1047م) فانتصر فيها أبو الغنائم بعد أن قتل من أهل البطيحة خلق كثير وغرقت لهم عدة سفن وتفرقوا في الآجام. ونهبت دار (ابن الهيثم) وصارت البطيحة لأبي كاليجار ثم بعد مدة آلت البطيحة لمهذب الدولة أحمد بن أبي الخير.

وفي سنة (510هـ 1116م) دخلت البطائح تحت نفوذ (دبيس بن صدقة المزيدي) ثم في عام (517هـ 1122م) عصى دبيس المذكور على (الخليفة المسترشد بالله) فتوجهت نحوه الجنود وحاربته حتى كسرته وفر من أمامهم: ثم ضغطت عليه حتى خرج من الحلة والتجأ إلى (عشائر المنتفق) واتفق معهم على مهاجمة البصرة. وجمعوا جموعهم وساروا بها نحو البصرة وهاجموها حتى احتلوها ونهبوها كما في تاريخها (ص298). وسيأتي بحث إجلاء بني أسد من البطائح سنة (558هـ 1163م) ثم إجلاء المنتفق منها عام (616هـ 1228م) ثم عودتهم إليها عند ذكر إمارة بني معروف. وظلت البطائح عامرة إلى أوائل القرن (8هـ 14م) حيث أخذت بالتقهقر والانحطاط لاشتعال نار الفتن بين أهلها فتنازع أمرها الثوار وعصاة القبائل فلعبت شوطاً مهماً لاسيما في زمن انفصال البصرة عن حكومة بغداد. فقد ابتلعتها ثورة المشعشعين كما سيأتي (9هـ 15م) وظلت مشوشة مضطربة الأحوال إلى القرن (12هـ 18م) حيث أخذت بتحسن الأحوال لهدوِّ الفتن من جهة وجفاف بعض المستنقعات من جهة أخرى. فنهض عمرانها على أيدي أمرائها من آل سعدون حيث إنهم وسعوا فيها الجزيرة بواسطة السدود. ثم خطوا (الناصرية) والشطرة وبمساعدتهم نهض ابن خميس فخط الخميسية كما تقدم.

أما جزائر البطائح

فيقال: إن عدد الناتئ منه فيما مضى نحو (360) جزيرة منبثة في طول البطائح وعرضها. قسم منها كان يسمى (جزائر شط العرب) وبعضها كان يقال له (جزائر خوزستان) ويقال: إن غالبها كان تابعاً لحكومة خوزستان. ولما دخلت البصرة في ضمن الممالك العثمانية في أواسط القرن (10هـ 16م) أخذ بعض زعماء القبائل بالانضمام إلى العثمانيين بعشائرهم رسمياً. ثم إنه في سنة (951هـ 1543م) لما حصل التضاغن بين رئيس المنتفق (الشيخ مغامس) وبين الحكومة العثمانية فساقت نحوه الجنود من بغداد تحت قيادة (إياس باشا) والتقيا عند الجزائر. جرت بينهما معركة أسفرت بانكسار الشيخ مغامس وفراره إلى نجد وذلك عام (953هـ 1545م) فاحتل إياس باشا الجزائر وعين عليها والياً من قبله كما سيأتي. ثم مشى بجنوده إلى البصرة وضبطها كما في تاريخها (ص284).

وفي سنة (956هـ 1548م) عصت أنحاء الجزائر وواسط على الحكومة العثمانية فبلغ واليها (علي بيك) الخبر إلى (والي البصرة) وهو رفعه إلى بغداد. فساق وزير بغداد الجنود نحو الجزائر تحت قيادة (تمرد علي باشا) وزحفت قوة أخرى من البصرة نحوها أيضاً وحاصر الكل (زعيم الجزائر الشيخ عليان) في قلعة المدينة ودارت رحى القتال بين الفريقين ولما حمي وطيس الحرب فر (عليان) من المدينة بنفسه في خاصته فاستولت الجنود العثمانية على الجزائر وواسط. وأمنوا الأهالي ونظموا مركز الحكومة هناك.

وفي عام (975هـ 1549م) جمع (ابن عليان) جموعاً من أعراب المنتفق وأعراب الجزائر وسار بهم نحو الجزائر فاحتلها كرهاً. فجهز والي بغداد الجنود وساقها نحو ابن عليان تحت (قيادة اسكندر باشا) وكذلك حشد والي البصرة (درويش علي باشا) عساكره ووجهها نحو المذكور واجتمع الكل على حربه حتى طردوه من البلدة وضبطوا الجزائر مرة ثانية كما في تاريخ البصرة (ص309). وإن ذلك التمرد كان ناشئاً من تعداد إمارات الجزيرة. فجعلت الزعماء تنضم تارة للعثمانيين وطور إلى (الصفويين ملوك خوزستان) فأدى ذلك إلى النزاع بين الحكومتين على البصرة والجزائر. كما وأن بعد مركز عاصمة آل عثمان مما جعل الأعراب تتمرد وتنقض العهود وتحدثهم أنفسهم بالاستقلال التام والانفصال عن أي دولة كانت. وساعدهم على ذلك تحصين الجزائر الطبيعي بالمستنقعات والغابات حتى أصبحوا في مأمن يعسر على الخصم مهاجمتهم فيه.

خلاصة الحوادث

هي إن الجزائريين قد حاربوا الحكومة العثمانية مراراً عديدة نجهل تفصيلها في الوقت الحاضر وإن شاء الله سنبذل أقصى ما يستطاع من مجهوداتنا في تحقيق تلك الحوادث وأسبابها ونعرضه في الطبعة الثالثة إن شاء الله تعالى حيث إنه جرت حروب في القرن (10هـ 16م) وفي أواسط القرن (11هـ 17م) وآخر حرب عظمى وقعت في الجزائر هي في سنة (1314هـ 1895م) تحت زعامة شيخ الجزائر في ذلك اليوم الشيخ حسن ابن خيون الأسدي: فساقت الحكومة نحوه الجنود تحت قيادة "محمد فاضل باشا الداغستاني" ثم البغدادي فسار بالجنود نحو الجزائر وأخمد نار الثورة بعد معركة عنيفة أحرقت فيها "المدينة" ثم بعد مدة حصل من نجله الشيخ سالم الخيون مشاغبات.

ولما تشكلت الحكومة العراقية سنة (1339هـ 1921م) نهض الشيخ سالم بن حسن بن خيون بمطالب مهمة وعاكس الحكومة. في بعض الأمور. ففي عام (1343هـ 1925م) حصل بينه وبين الحكومة العراقية اختلاف شديد أدى إلى القبض عليه وإرساله إلى محكمة البصرة فقررت نفيه إلى الموصل بعد محاكمات عديدة وتهم كثيرة. وبهذه الحادثة انحلت مشيخة الجزائر. فلا إمارة فيها اليوم ولا مشيخة. وإنما أسست الحكومة العراقية (قضاء الحمار) وبعثت إليه قائم مقام وموظفي إدارة وأبطلت المشيخة وجعلت محلها عدة "مختارين" مشايخ المحلات (عُمَداً) يراجعون الحكومة في مسائل معينة لهم تحت نظام مقرر معلوم عند الطرفين.

الحويزة

إن الحويزة هي خارجة عن موضوعنا ولكننا نذكر هنا نبذة عن مجمل أحوال مواليها لأنهم كانوا ممن حكم في الجزائر. وذلك أنه في القرن (9هـ 15م) ابتدأت الثورات واشتعلت نارها تحت زعامة "محمد بن فلاح المتمهدي المشعشع" وهو جد حكام الحويزة ومؤسس إمارتهم وهم الملقبون بلفظة "مولى" وكان ظهور ثورته في الجزائر فنهض لمدافعته وصد غاراته أمير البلاد. وهو يومئذ من عشيرة "عبادة" فتواقع معه وجرت بينهما معركة شديدة أسفرت بفوز محمد بن فلاح واحتلاله البلدة فأخذ بزمام الأمور فيها وأسس إمارة قوية ظلت في عقبه. ثم إنهم نقلوا قصبة حكمهم إلى "الحويزة" وتأمروا فيها وطار "صيتهم" بين العرب. ولما أفضت الإمارة إلى المولى (مبارك بن عبد المطلب بن حيدر بن محسن بن محمد

المتمهدي) سار إلى الجزائر وتغلب عليها في القرن (10هـ 16م) واجتاح البلاد وأخضع أهلها قهراً.

وفي سنة (1055هـ 1644م) ثارت الجزائر ثورة عظيمة وانتشرت في جميعها الفتن. فسار إليها "المولى علي خان" وأخمد نيران الثورة وأرجع المياه إلى مجاريها. وفيه يقول ابن معتوق الشاعر الحوزي المولود بالبصرة سنة (1025هـ 1615م) والمتوفى سنة (111هـ 1698م) من قصيدة :

لولا إيابك للجزائر ما صفت منها مشارع مائها المتكدر
أسكنت أهليها النعيم وطالما شهدوا الجحيم بها وهول المحشر
وكسوتها حلل الأماني وإنها لولاك أضحت عورة لم تستر

ثم في أيام (المولى منصور بن عبد المطلب) ثارت الجزائر مرة أخرى فشمر عن ساعد الجد وسار إليها بالجموع وقمع الفتن ولكنها رغم تلك الحروب والتأديب من الموالي لم تَرْعَوِ عن الثورات المتوالية لاسيما في عهد الموالي فكانت تسكن تارة بالقوة وطوراً بالسياسة.

وكانت الجزائر في القرن (11هـ 17م) تتنازعها حكومات (أو إمارات) أربع: حكومة (القبان) وحكومة (الدورق) وحكومة (الحويزة) وحكومة (البصرة) وإن تلك المناطق الأربع هي محل تنازع الحكومة العثمانية والحكومة الصفوية والتي كانت عاصمتها مدينة شيراز (فالحكومة العثمانية تفضل فوز حكومة البصرة وحكومة القبان كما وأن حكومة شيراز تميل إلى نصرة حكومتي (الدورق . والحويزة) ثم لما تولى (أفراسياب) على البصرة زحف فاحتل القبان. كما في تاريخ البصرة (ص310).

الكبائش أو الكبائس

جمع كبش وهو الخروف: أو جمع كبيسة وهي الأرض التي تزرع على رطوبة الأرض الكامنة فيها. ويقولون ثمر سقي وثمر كبسي. وإن الكبائش هي اسم لعدة عرائش فوق جزر كثيرة يفصل بعضها عن بعض ماء المستنقعات فيضطر الشخص لركوب الزوارق عندما يذهب لقضاء أشغاله من حاجيات البيت أو زيادة الأقارب والأصدقاء، ويحد قضاء

الكبائش شمالاً حدود لواء العمارة. وشرقاً ناحية المدينة التابعة لقضاء القرنة. ومن الغرب والجنوب قضاء سوق الشيوخ.

نفوس الكبائش

على ما قيل تقدر بنحو (33) ألف نسمة.

(صادراتها) أهم الصادرات منها القصب، والبردي، والسمك، والشلب هو الأرز غير المقشور، والذرة بنوعيها، وإن أول من بني فيها بالآجر والحجارة هو أميرها، الشيخ سالم بن حسن الخيون، المتقدم ذكره. ثم لما تأسست الحكومة العراقية بنت هناك "صرحاً" سنة (1343هـ 1925م) فصار مركزاً مهماً للحكومة هناك.

أجناس أهل لواء المنتفق

عموماً غالبهم أعراب من عشائر المنتفق.

(الديانة) السائدة هي الملة المحمدية السمحة البيضاء.

(المذاهب) جميع المنتفق وآل سعدون وقسم من عشائرهم يقلدون مذهب الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه وأما بقية العشائر فمنهم شيعة جعفرية. وقسم حنابلة نجدية.

المنتفق وآل شبيب وآل سعدون

المنتفق ـ اسم قبيلة مشهورة منسوبة إلى المنتفق بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان الخ وتتمة النسب في تاريخ البحرين، ص81، فبنو المنتفق هم بطن من عامر بن صعصعة اشتهروا باسم أبيهم فقيل لهم، المنتفق، وكانت منازلهم آجام القصب بين البصرة والكوفة وكانت الإمارة فيهم في بني معروف، كما سيأتي.

(أما تاريخ المنتفق) فغامض تفصيله والذي نعلمه في الوقت الحاضر عن مشايخهم وحكامهم هو أنه في سنة، 378هـ 988م، لما هجمت القرامطة على البصرة. كان رئيس المنتفق وشيخهم الرجل البطل المسمى (بالشيخ أصغر) فلما بلغه ذلك جمع جموعه وسار بها نحو (القرامطة) ليضعف شوكتهم فما أدركهم إلا قرب الأحساء فأوقع فيهم وجرت بينهما معركة عنيفة أسفرت عن انكسار القرامطة وفراراً قائدهم وتمزق جموعهم فغنم منهم (أصغر) مغانم كثيرة ثم سار في أثرهم نحو (الأحساء) فتحصنوا فيها فلم يتمكن على محاربتهم فعدل إلى (القطيف) وسلب ما كان فيها من أموال القرامطة وعبيدهم ومواشيهم ثم عاد إلى البصرة حاملاً لواء الظفر كما في تاريخها (ص282) وتاريخ الأحساء.

وظل (الشيخ أصغر) رئيساً للمنتفق إلى أن توفي عام (410هـ 1019م) فجعلت الرياسة تنتقل من شيخ إلى آخر. ثم إنه في سنة (499هـ 1105م) اجتمعت (ربيعة . والمنتفق) ومن انضم إليهم من الأعراب وساروا نحو البصرة وهاجموها فدافع عنها واليها حتى عجز فأسروه وانهزم أصحابه ولم يقدر من بها على حفظها فدخلوها عنوة بالسيف في أواخر (ذي القعدة) من العام المذكور.

وأحرقوا الأسواق والدور الحسان بعد أن نهبوا ما قدروا عليه وأقاموا ينهبون ويحرقون (32) يوماً حتى فر معظم البصريين من البلدة كما في تاريخها (ص 295).

وفي عام (517هـ 1122) شق عصا الطاعة حاكم الحلة (دبيس) بن صدقة، فساق الخليفة المسترشد بالله الجنود نحوه وحاربه حتى انهزم من الحلة فاراً بحاشيته. والتجأ إلى عشائر المنتفق ثم اتفق معهم على مهاجمة البصرة فساروا إليها وأوقعوا بأهلها ونهبوا الأموال. فوجه الخليفة نحوهم الجنود تحت قيادة (البرسقي) فحاربهم حتى أخرجهم من البصرة كما في تاريخها (ص 297).

إمارات آل معروف على البصرة

وفي سنة (532هـ 1137م) صدر الأمر من الخليفة ببغداد بتعيين (الشيخ معروف رئيس المنتفق) يومئذ والياً على البصرة. ثم في عام (558هـ 1163م) حصل بعض إفسادات وتعديات من بني أسد من الحلة. لأنه كان في نفسه عليهم شيء لمساعدتهم.

(السلطان محمد السلجوقي) لما قدم بغداد. فسارت الجنود نحوهم تحت قيادة (يزدن بن قماج) بعد أن استقدم لمساعدته (ابن معروف) رئيس المنتفق من البصرة وانضم الكل على حرب بني أسد حتى أجلوهم من ديارهم وهم صاغرون وسلمت (بطائحهم) إلى ابن معروف فدخلتها عشائر المنتفق كما في تاريخ البصرة (ص 298).

وظلت عشائر المنتفق في البطائح إلى سنة (616هـ 1218م) حيث حصل منهم ما كدر صفاء الأمن والراحة. (فوجه الخليفة الناصر لدين الله) نحوهم الجنود تحت قيادة (الشريف معد) المتولي على بلاد (واسط) يومئذ فسار لقتالهم يقود الجيوش حتى التقى معهم في موضع يعرف (بالمقير) وهو تل كبير بالبطيحة قرب الغراف على مسافة (10) أميال جنوب الناصرية (كما تقدم عند بحث الآثار القديمة) وكان رئيس المنتفق يومئذ (معلي بن معروف) وجرت بينهما معركة أسفرت عن انكسار عشائر المنتفق وظعنهم من أماكنهم واضطرارهم إلى الجلاء من البطائح فذهبوا نحو (الأحساء . والقطيف) ليستوطنوا فيهما فما تمكنوا من البقاء لكثرة أضدادهم هناك. فعادوا نحو البصرة وطلبوا من متسلمها بأن يكاتب وزارة بغداد بالعفو عنهم ليعودوا هادئين إلى مقرهم في العراق فكتب المتسلم لهم بذلك وسيرهم مع أصحابه إلى بغداد ليعرضوا الخضوع والانقياد لأوامر الخليفة فلما قاربوا (واسط) لقيهم قاصد (ساعي) من الوزارة يقود سرية ومعه الأوامر بمقاتلتهم وعدم الإذن لهم بالدخول إلى العراق فتحاربوا معه حتى تفوقوا عليه وغنموا منه بعض الأسلحة فتمكنوا بها من احتلال البطيحة وذلك عام (617هـ 1219م) وقيل عام 618م) وعاد جميع بني معروف إلى البطيحة وقوي أمرهم فيها.

وظلت البطائح عامرة آهلة بالسكان إلى أوائل القرن (8هـ 14م) حيث أخذت بالتقهقر والانحطاط لاشتعال نار الفتن بين أهلها.

(أما آل شبيب) فإن آل سعدون فخيذة منهم وكانت الإمارة فيهم والكل سادة من بني هاشم أتوا من الحجاز إلى بادية العراق فاستوطنوها كما سيأتي.

أما آل سعدون ونسبهم

فإنهم منسوبون إلى الشيخ سعدون. وكان رئيسهم الذي أدركناه هو (عجيمي باشا) ابن سعدون باشا بن منصور باشا ابن راشد بن ثامر بن الشيخ سعدون الكبير (الذي قتل في معركة حصلت بين المنتفق والعثمانيين

حينما كانوا نازلين في بادية العراق قرب السماوة) وقد اشتهر بنوه به فقيل لهم (آل سعدون) والشيخ سعدون هو ابن الشريف محمد بن الشريف شبيب بن مانع بن شبيب بن مانع بن مالك ابن سعدون بن إبراهيم (الملقب بأحمر العينين) ابن كبشة بن منصور بن جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم (المكني بابن فليتة) ابن مهنا بن حسن (المشهور بابن أبي عمارة) ابن مهنا الأعرج (المكني بابن أبي هاشم) ابن داود بن قاسم بن عبد الله بن طاهر بن يحيى النسابة بن الحسن بن جعفر الحجة بن عبيد الله الأعرج بن الحسين الأصغر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما. قد تفرع منهم عدة فصائل (كآل صالح. وآل محمد. وآل روضان. وآل راشد. وآل صقر. وآل سعدون).

ويقال: إن أول من هاجر منهم من مكة المشرفة هو (الشريف شبيب ابن مانع) وأخواه (مهنا. وبركات) وأسباب ظعنهم من مكة مختلف في أسبابه. والمشهور بين المنتفق هو أن بني عمهم قتلوا عبداً للشريف شبيب المذكور. فتشاحنت قلوبهم. ثم أغرتهم أختهم (نوره) على الثأر من بني عمهم حفظاً لمكانتهم لاسيما وأن ذلك العبد كان مقدماً عندهم: فتعازم شبيب مع أخويه على الانتقام من بني عمهم وعينوا لهم يوماً. ثم هجموا فيه على بني عمهم وقتلوا منهم جملة. ثم فروا من الحجاز بمن تبعهم فتوجه (مهنا ابن مانع) نحو تونس الغرب. وسار (بركات بن مانع) نحو بلاد العجم (إيران) وأقبل الشريف شبيب نحو العراق.

إمارة آل شبيب

أقبل الشريف شبيب بن مانع نحو العراق وذلك بعد انقراض دولة بني العباس من العراق. أي في حدود القرن (7هـ 13م) ثم تزوج بامرأة عباسية فولدت له مانعاً[1] ثم صالحاً. وكان الشريف شبيب جواداً شجاعاً فاكتسب شهرة واسعة وطار صيته بين العشائر العراقية حتى صار مقدماً عندهم. ثم استفحل أمره حتى نفذ قوله على العشائر الملتفة عليه من بني مالك والنازلة بحذائه فترأس فيهم تدريجياً. ثم تفرد بالحكم على عشائر المنتفق ثم زاد نفوذه حتى صارت له صولة تامة على غالب عشائر العراق. ثم تسيطر على البصرة بعشائر بني مالك فجعل يعين عليها من شاء ويعزل من شاء.

---

(1) وقيل إن والدة مانع كانت من آل خصيفة أمراء بني مالك الذين كانوا مشايخ في بادية البصرة. كما سيأتي ذكرهم في داخل الأصل. ا هـ مؤلف.

لو لم يحصل بينه وبين الخزاعل وزبيد تشاحن وتخاذل لتمكن من حكم العراق أجمع كما سيأتي.

وكان لما قدم الشريف شبيب بن مانع إلى العراق بعد أفول دولة بني العباس وجد هناك قبائل لها نفوذ تام في البادية (فبنو مالك) كانوا مستولين على الأراضي الجنوبية من العراق (الشامية) تحت رئاسة (ابن خصيفة) وأما (الأجود) فإنهم كانوا متغلبين على الغراف (الحي) تحت زعامة (آل وطحل) فنزل الشريف شبيب بجوار بني مالك. ولما استفحل أمره وظهرت شوكته تسيطر أولاً على (بني مالك) ثم جعل يحارب بهم من ضادَّه.

ثم بعد مدة حصل بينه وبين رئيس (الأجود) مشاحنة أدت إلى مشق الحسام فجمع شبيب أعرابه وضمهم إلى بني مالك ومشى على الأجود وجرت بينهما عدة معارك أسفرت أخيراً عن قتل الشريف مانع بن شبيب ابن مانع فترأس محله ابنه مانع.

إمارة الشريف مانع بن شبيب بن مانع

أخذ الشريف مانع بن شبيب بن مانع بزمام الأمر. وكان قائداً حربياً ذا إقدام وبسالة. فجمع الجموع من مالك وجعل يواصل الحرب على (الأجود) حتى تفوق عليهم وأثخن فيهم القتل إلى أن أباد معظمهم ومحا شوكتهم وطلب من بقى منهم الصلح[1] وكان بجانب بني مالك فخائذ من عتيبة. وبجانب الأجود، قبيلة البدور. وفصيلة من الرولة. والشُريفات. والجوارين[2] ولما طلبت عشائر الأجود الصلح أجابهم الشريف مانع إلى ذلك بشروط منها:

1 ـ الاعتراف بأنه الزعيم الأعلى على الكل.

---

(1) ويقال: إنه لم يبق من رجال الأجود إلا (40) طفلاً يتيماً قتل آباؤهم أثناء الحروب وظلوا مستضعفين إلى أن نمت عشيرتهم مرة ثانية وعاد الفارون بعد الصلح وطلبوا الأمان. وهذه القصة شائعة بين المنتفق ويستشهدون لذلك بأن عشيرة الأجود تنتخي وتعتزي عند الضرورة واللزوم بكلمة (يتيم) إلى اليوم إشارة إلى يتمهم في بادئ أمرهم بعد تلك المعارك المجحفة التي ذكرناها في داخل الأصل. ا هـ مؤلف.

(2) الجوارين اسم يطلق على عدة قبائل تحالفوا وتسموا باسم (الجوارين) لفظ مأخوذ من المجاورة. ورئيسهم اليوم حسين بن قبيح الدريس. وحسن بن ثامر بن عبيقة يرأس فخيذة منهم جاءت من حائل قديماً مع زعيمها (سالم أبي عنن) فاستوطنت بادية العراق. ثم تحالفت مع الجوارين. وأنهم ينتخون اليوم عند الضرورة (بأخي سعدة). ا هـ مؤلف.

2 ـ أنه لا يجب عليه النهوض من مقعده فيما إذا قدم إلى مجلسه أحد رؤسائهم. أو حياه. أو سلم عليه.

ومنها شروط أخر يصعب قبولها فرضها عليهم (ثأراً) لدم أبيه الذي قتل أثناء المحاربة معهم كما تقدم. فقبلوا تلك الشروط وتم الصلح بينهما على ذلك مع من بقي من العشائر التي كانت منضمة إلى جانب "الأجود" وصاروا من حلفائه خاضعين له كما سيأتي. ثم لما نمت عشيرة آل أجود، وتطورت الأحوال جددوا التحالف مع القبائل التابعة لآل شبيب والمنبثة في الأراضي والمدن المعبر عنها اليوم (بالمنتفق) وهي التي ترتوي من نهر الغراف وما يتصل به إلى سواحل الفرات قبل أن يتفرق ماؤه في المستنقعات. وغدير الحمار (هور الحمار) وأهم العشائر هناك. بنو ركاب[1] والحميد[2] وعبودة[3] وخفاجة[4] وقسم من العشائر الصغار النازلة على الفرات. والكل كانوا يعرفون (بالأجود) وكانت الإمارة في أربعة بيوت منهم وأظهرها (بيت وثال) وآخرهم الشيخ علي الحيدر وابنه الشيخ باقر وقد أعقب باقر ابنين جعفراً وصادقاً وهما قد دخلا في سلك العلماء واستوطنا (سوق الشيوخ). وكان بعد انحلال آل وثال جعل أمراء آل سعدون ينتخبون لهم رئيساً. تارة من المناع. وطوراً من الخليف. وآونة من ابن صبيخة ورئيس المنتفق هو الذي يولي ويعزل من شاء منهم.

وأما بنو مالك[5] فكانوا مقيمين عند سوق الشيوخ. وبنو سعيد[1] كانوا في الجزيرة (بين الغراف ودجلة) وهؤلاء القبائل الثلاث (بنو مالك.

---

(1) بنور ركاب زعيمهم اليوم الشيخ شلال. ومحمد بن كريم وهم نازلون في (أبي مهيف) قرب الشطرة.

(2) آل حميد رئيسهم اليوم موحان بن النوري. وهم نازلون عند الكرادي.

(3) عبودة شيخهم خيون بن عبيد بن جبير وهم نازلون عند الكرادي.

(4) خفاجة هم من بني عمرو بن عقيل. وفي عام (417هـ 1025م) جمعهم دبيس بن علي بن مزيد وحارب بهم قرواشاً أمير بني عقيل وملك منه الأنبار في تلك السنة. ثم انتقضت خفاجة على دبيس وأميرهم يومئذ (منيع بن حسان) وسار إلى الجامعين فنهبها وملك الكوفة وتغلبت خفاجة على الفرات حتى منعت بن عقيل من وروده. زعيمهم صقبان بن علي بن فضل. وهم نازلون في نواحي الشطرة. ا هـ مؤلف.

(5) بنو مالك كانت الرئاسة فيهم لجيش بن خصيفة. ثم لابنه علي. ثم لابنه ثامر بن علي. ثم لابنه سليمان بن ثامر بن علي بن حبش. ثم تنقلت الرياسة إلى (مصبح العرفج) وهو أيضاً من بني مالك وظل في المشيخة إلى أن توفي عام (1344هـ 1926م) فترأس محله ابنه الأوسط (سلطان) نحو سنة ثم عزل وتعين بدله أخوه (مهلهل بن مسبح العرفج) سنة (1345هـ 1927م) ا هـ مؤلف.

والأجود. وبنو سعيد) هم الذين كانوا يؤلفون تحالف المنتفق الذي كان يرأسه آل شبيب. ثم آل سعدون كما سيأتي.

ولما اتحدت بنو مالك والأجود تحت رئاسة زعيمهم الباسل الشريف مانع. وأصبحوا قوة لا تغلب لاسيما بعد انضمام بني سعيد أهل الجزيرة إليهم[2] اشرأبت نفس الشريف مانع إلى البصرة. فزحفت نحوها بمجموعة فاحتلها وجعل يحكمها. وبقي الحكم فيها لأعقابه. ولما آل أمر البصرة إلى الشيخ مغامس ابن مانع.

إمارة الشيخ مغامس بن مانع

جعل مقر حكمه في البصرة وصار يدير شئونها وشئون البادية إلى سنة (945هـ 1537م) حيث بعث برضائه واختياره مفاتيح قلعتها مع ابنه (راشد بن مغامس) إلى السلطان سليمان العثماني وعرض عليه الطاعة والخضوع. فأصدر السلطان أمراً بإلحاق ولاية البصرة إلى مدينة بغداد يحكمها وآل واحد. وبعد أن تحقق لدى السلطنة كمال الخضوع والانقياد من (الشيخ مغامس) أسرها ذلك فأمرت بإكرام ابنه راشد إكراماً جزيلاً. وأقرتهما على حكم البصرة بشرط أن تكون الدراهم المتعاطي بها عثمانية. وأن يخطب في يوم الجمعة دائماً باسم السلطان العثماني كما وأنه يجب على الشيخ مغامس أن ينفذ ويعمل في البصرة بمقتضى ما تصدر له الأوامر من ولاة بغداد: فقبل الكل بذلك.

إمارة الشيخ مانع بن مغامس بن مانع بن شبيب

ثم إن الشيخ مغامس عين ابنه الشيخ مانعاً والياً على البصرة في سنة (950هـ 1542م) وجعل يدير الحكم بها على ما يرام. ثم في سنة (951هـ 1543م) ظهرت من الشيخ مغامس بن مانع بوادر المخالفة وجعل يعاكس ولاة بغداد في بعض الأمور. ثم وافق أن لجأ إليه بعض الجناة الأشرار فحماهم حسب عادة العرب في الدخيل. فطلبتهم الحكومة إلى بغداد فامتنع من إرسالهم إلى بغداد. فرفع الوالي الخبر إلى دار السلطنة فصدرت الأوامر بسوق الجنود نحو البصرة: فتوجهت تحت قيادة (إياس باشا) (سنة

---

(1) بنو سعيد كان رئيسهم (أبو حمزة) إلى أن انحلت مشيخة آل سعدون سنة (1295هـ 1877م) ثم جعلت الحكومة العثمانية تعين على كل فخيذة وعشيرة شيخاً منها. ا هـ مؤلف.

(2) هذا مجمل ما قيل في تحالف المنتفق الثلاثي. وأما اليوم فلم يبق من تلك الأقسام إلا جماعات قليلة لا تتحد مع بعضها إلا لغايات خصوصية. أو تصادق مؤقت لغرض من الأغراض. ا هـ مؤلف.

953هـ 1545م) والتقى الفريقان عند الجزائر وجرت بينهما معركة أسفرت عن انكسار الشيخ مغامس وفراره بمن يلوذ به نحو نجد. فسار إياس باشا إلى البصرة فوجدها خالية فاحتلها كما في تاريخها (ص307).

ثم في عام (982هـ 1573م) انتشبت الحرب بين قبائل العرب والجنود العثمانية فتفوقت العرب على الجنود. وفي عام (1102هـ 1690م) عصت عشائر الجزيرة والمنتفق وهاجموا البصرة حتى وصلوا إلى المحل المسمى (بالدير) فبرر لهم والي البصرة (أحمد باشا بن عثمان باشا) وكافحهم وجرت بينهما معركة أسفرت عن انسجامهم لكن بعد أن قتل الوالي المذكور.

ثم في سنة (1104هـ 1692م) لما وجهت ولاية البصرة إلى خليل باشا (أخي أحمد باشا والي بغداد) حشد الجنود وساقتها نحو (الشيخ مانع بن مغامس) والتقى الجمعان في الجزائر فدارت رحى القتال بينهما فأسفرت عن انكسار خليل باشا وتقهقر جنوده فاستولى الشيخ مانع على البصرة وذلك عام (1105هـ 1692م) فعرضت الحكومة عن الحرب واستمالت الشيخ مانع بزيادة (مخصصاته) فخضع لأوامر الدولة وانسحب من البصرة فعاد خليل باشا والياً عليها.

ثم إن خليل باشا أساء المعاملة مع الأهالي حتى ثاروا عليه وطردوه من البلدة. وأرسلوا إلى الشيخ مانع يستقدمونه فقدم إليهم واستلم زمام إدارة البصرة وذلك عام (1106هـ 1693م) وظل يحكم في البصرة ويدير شئونها وشئون عشائر المنتفق إلى عام (1109هـ 1696م) حيث خدعه حاكم الجزيرة (فرج الله بن مطلب خان) واستعمل عليه الدسائس والحيل حتى أخرجه من البصرة وضبطها هو عين عليها من قبله (داود خان) كما في تاريخ البصرة (ص316).

ثم في سنة (1115هـ 1702م) حصلت معركة شديدة بين قبائل المنتفق وقبيلة خزاعة بقرب السماوة فتفوقت خزاعة بعد أن قتل من الطرفين خلق كثير. وفي عام (1120هـ 1707م) شق عصا الطاعة على الدولة العثمانية الشيخ مغامس بن مانع بن مغامس بن مانع بن شبيب وجمع قومه وهاجم بها البصرة حتى احتلها فساقت الدولة نحوه الجنود. ولما علم بقربها منه تحصن في القلعة التي بناها في (القرنة) على نهر عنتر المعروف هناك. وجعل يدافع عن نفسه حتى عجز فاضطر إلى الانسحاب فدخلت الجنود العثمانية البصرة وحكمتها. كما في تاريخها (ص317) وبقي

الشيخ مغامس في البادية شيخاً على المنتفق وكان له أخ يسمى صقر بن مانع تنسب إليه اليوم الصقر. ومنهم ثويني بن سيف بن سلطان بن مهنا بن فضل بن ناصر بن صقر بن مانع بن شبيب بن مانع بن مالك الخ.

ثم أفضت المشيخة إلى :

الشيخ محمد بن شبيب بن مانع

وظل الشيخ محمد بن شبيب بن مانع في المشيخة إلى أن آل أمرها إلى :

الشيخ منيخر الصقر

فترأس الشيخ منيخر الصقر على المنتفق عام (1159هـ 1745م) تقريباً وظل في المشيخة إلى أن أعقبه:

الشيخ عبد الله بن محمد

أخذ الشيخ عبد الله بن محمد بن شبيب بن مانع بزمام الإمارة وظل يدير شئونها إلى أن توفي عام (1175هـ 1760م) وكان له من المولد: ثويني وحبيب. وناصر. ونجم. وصقر. فتقلد الأمر من بعده ابنه الشيخ ثويني:

فصل

في إمارة الشيخ ثويني بن عبد الله

المرة الأولى

تربع على أريكة المشيخة البطل الهمام الشيخ ثويني بن عبد الله بن محمد ابن شبيب بن مانع الشبيب سنة (1175هـ 1760م) بعد وفاة والده وجعل يوسع نفوذه ويقوي مركزه ويؤيد بني عمه بإسناد الوظائف لهم ليشتد عضده بأقاربه. حتى زها ملكه من عام (1175هـ 1760م) إلى (1200هـ 1785م) وكان المعاصر له ابن عمه ثامر بن سعدون بن محمد بن شبيب ابن مانع (وهو أيضاً أخوه من أمه) وكان لما تولى ثويني بن عبد الله رئاسة المنتفق كما تولاها من قبله أبوه وجده وأبو جده. وجه في بادئ الأمر سطوته ونفوذه نحو الأعراب المنبثين من جنوبي بغداد إلى حدود الكويت. وكان يعد من أجود العرب في زمانه وأسخاهم. فاستتب له الأمر كما أراد.

وله أيام مشهورة في الحرب لاسيما في زمن إمارته الأولى. فمن أيامه (يوم دبى) كربى اسم موقع قرب البصرة. وذلك أن عشائر بني كعب غزت أخاه (صقراً) فقصدهم ثويني وتواقع معهم وأثخن فيهم القتل حتى أذلهم وأسكن الرعب في قلوبهم. ومنها (يوم تنومه). ومنها (يوم ضجعة) والعوام يحرفونها ويقولن (جضعة) وسبب الواقعة هو أن عبد المحسن ابن سرداح لما تاقت نفسه لغزو بني خالد شيوخ الأحساء استعد لحربهم واستنجد بالشيخ ثويني فأمده بالمال وبالرجال. وكان رئيس بني خالد يومئذ (سعدون ابن عرعر) ولما تحقق لدى سعدون بأن الشيخ ثويني أمد عبد المحسن بالرجال استعد هو للفريقين. وفي فصل الربيع زحف كل فريق على من يليه. وأمر سعدون بن عريعر فرسان قومه بأن يشنوا الغارات على عشائر المنتفق قوم ثويني. ثم التقى الجمعان في أرض بني خالد في الموضع المسمى (ضجعة) ودارت بينهما الحرب والطعان. وتجالدت الفرسان مدة من الزمان. حتى سئمت أعراب بن خالد من الحرب فامتطى متن الخيانة بعض رجال (ابن عريعر) وتقهقروا. فتمكن الشيخ ثويني من اجتياح عشائر بني خالد وأثخن فيهم الضرب حتى فر سعدون في خاصته نحو نجد. فغنم ثويني ذخائرهم وأنعامهم. وعاد إلى مقره حاملاً لواء النصر والظفر.

الحوادث في زمن إمارة الشيخ ثويني

إن من أهم الحوادث في زمنه هي زحف الأعاجم (أهل فارس) نحو المنتفق بعد احتلالهم البصرة سنة (1190هـ 1775م) كما في تاريخها (ص289) وقد طمعوا في غزو بلاد المنتفق فساق (صادق خان) جنوده نحو عشائر المنتفق فبرز لهم الشيخ ثويني بجموعه والتقى معهم في الموضع المسمى (الفضيلة) قرب ساحل الفرات الغربي. وتصادمت الأبطال في ذلك المكان وحمي وطيس القتال فلم يك إلا برهة من الزمان حتى أدبرت الأعجام مكسورة أمام ضراغمة المنتفق وخسروا أنفساً كثيرة. ومات معظم من سلم من القتل غرقاً في النهر. وذلك لأن قائد العجم استحسن بأن يجعل نهر الفرات خلف جنوده حفظاً لهم من حدوث طارئ يهاجمهم من الخلف لما عرفوه من خفة سرعة خيالة العرب في الالتفاف على العدو (وقطع خط الرجعة عليه) فكان ذلك الرأي هو السبب لدمار جنوده لأنه لما بدأ فيهم الفشل وأرادوا الهزيمة لم يجدوا مفراً سوى العبور في النهر إلى الجانب الآخر. فلحقتهم فرسان العرب تثخنهم ضرباً وطعناً وهم على حافة النهر. ففقدوا معظم قوتهم وذهب من نجا منهم إلى البصرة ودخلوها متقمصين ثوب الفشل والقهر.

فحنق لذلك صادق خان وصمم على إعادة الكرة على المنتفق مرة ثانية (لإماطة ثوب الفشل والعار) وكسر شوكتهم. وطلب المدد من أخيه (كريم خان الزندي) فأرسل إليه ما أراد من الرجال والسلاح. ولما تكاملت لديه القوة استعد للحرب ونظم جنوده كما يرام.

وفي سنة (1192هـ 1777م) ساق جنوده نحو بلاد المنتفق تحت قيادة (محمد علي خان) الشهير بينهم بالبسالة. وكان مع عساكر العجم عشائر (بني كعب) فالتقى الجمعان في المحل المسمى (أبا حلانة) وعندما عاين العرب كثرة جنود العجم وقوة استعدادهم جنحوا إلى السلم. وأرسلوا إلى محمد علي خان يذاكرونه في الصلح. فطمع فيهم واستضعفهم بطلبهم الصلح وجعل يشترط عليهم شروط تأباها شيم العرب. فرفض الشيخ ثويني قبول تلك الشروط التي ما أنزل الله بها من سلطان واستعد للنزال مستصوباً قول عمرو بن معد يكرب الزبيدي حيث يقول:

وبدت لميس نساءنا يعزفن بالمعزاء شدا
وبدت لميس كأنها بدر السماء إذا تبدى
وبدت محاسنها التي تخفي وكان الأمر جدا

نازلت كبشهمو ولم   أر من نزال الكبش بدا

وكان محمد علي خان قد رتب مكيدة حربية للعرب من (علوان شيخ آل كثير) وقت الزحف على المنتفق. فوصل خبر تلك المكيدة (للشيخ ثويني. وثامر) بواسطة الجواسيس. فتحذرا منها. واستعدا لفل ما غزله قائد العجم. ولما تصادم الجمعان وتقارعت الأقران. حملت العرب حملة رجل واحد على خصمائهم. فلم تمض إلا ساعات حتى انفل جيش العجم المتلبد وقهقروا فارين دون انتظام لا يلوي أحد على صاحبه. بعد أن قتل قائد العجم وذلك في 25 ذي القعدة عام (1192هـ 1777م).

وإن هذه المعركة صارت سبباً في تثبيط همة العجم من الولوج في أراضي العراق ومن التوغل فيها. ولما عاد الشيخ ثويني إلى مقره رافعاً راية الظفر. وفدت عليه الشعراء وهنأته بالنصر والظفر. فأجازهم بالمجوهرات والتحف التي غنمها من العجم وبالسيوف المرصعة النادرة. وكان ممن أبلى في هذه المعركة بلاء حسناً (حمود بن ثامر السعدون) وهو يومئذ فتى شاباً. ومحمد بن عبد العزيز بن مغامس. واقتصر العجم على احتلال البصرة فقط كما في تاريخها (ص322).

وفي عام (1193هـ 1778م) حصل خلاف بين المنتفق وقبيلة خزاعة أدى إلى مشق الحسام. ثم أسفر عن قتل (ثامر بن سعدون بن محمد) وكان قد أعقب تسعة أبناء وهم. (حمود ومحمد) وهما أشقاء وأخوالهما بنو خيقان. (وراشد وعبد الله) وهما أشقاء وأخوالهما (أهل الخرج ونجد). وقد أعقب عبد الله ابنين مشاري وعمراً. فمشاري أعقب بدراً. وأعقب عمر محمد وحموداً. وناصر وعلي وصالح أشقاء وأخوالهم (الشحمان). وعبد المحسن وأخوالهم (آل محسن) من أشراف الحجاز. وآل محسن هاجروا من مكة إلى العراق سنة (1040هـ 1630م) وكان زعيمهم في سنة (1270هـ 1825م) عندما أنشأ الأتراك حكومة قومية في السماوة (سعدون آل محسن). وكاد رجلاً سفاحاً. ومنصور وأخواله من (بيت كليب من ربيعة).

غزوة الشيخ ثويني نحو نجد

وفي أوائل سنة (1201هـ 1785م) جمع الشيخ ثويني جموعه من المنتفق. وأهل المجرة: وأهل الزبير: وأعراب شمر. وغالب فخائذ طي. وزحف بتلك القوة نحو نجد حتى دنا من (القصيم) فخيم عند قرية (تنومة)

وتواقع مع أهلها حتى تفوق عليهم وغنم منهم. ثم ارتحل بجنوده قاصداً (بريدة) وهاجم أهلها حتى أخضعهم. وكان أن يخضع بتلك الجموع سائر أنحاء نجد لتوفر قوته ولكن بينما هو يحتل الأراضي النجدية، وإذا بمخبر يخبره بحدوث خلل في العراق يهدد مركزه هناك وبحصول بعض الفتن في نواحي بغداد أيضاً[1] وسعى المفسدون وألفتوا أنظاره نحو البصرة ليكف عن التوغل في نجد، ثم أتاه منضماً إليه (حمد بن حمود شيخ خزاعة) فعطف الشيخ ثويني بجموعه متجهاً نحو البصرة حتى خيم عند قصبة (الزبير) وذلك بتدبير سليمان بن شاوي كما في الحاشية. فخرج متسلم البصرة (إبراهيم بيك) لملاقاة الشيخ ثويني للسلام عليه. وعندما دخل المتسلم أمر عليه الشيخ ثويني بالقبض واعتقاله. ثم ركب الشيخ مع قومه وسار إلى البصرة واحتلها بجموعه. ثم أمر بمصادرة جميع ما يملكه المتسلم. ثم بعد ذلك نفاه إلى (مسقط) ومنها توجه المتسلم بنفسه إلى وطنه.

ثم إن الشيخ ثويني أحضر أعيان البصرة ورؤساءها ووعدهم ومناهم بالمناصب وطلب منهم بأن يكتبوا (مضبطة) إلى الحكومة العثمانية يطلبونه حاكماً عليهم. فامتثلوا الأمر وكتبوا إلى الدولة بذلك وأرسلوها مع مفتي البصرة يومئذ، فلما وصل (الآستانة) عرضها على أعتاب السلطنة فغضبت غضباً شديداً وكادت أن تأمر بصلب المفتي لولا تدارك بعض العلماء ذلك إكراماً للعلم كما في تاريخ البصرة (ص326) وبادرت الحكومة بإصدار الأوامر إلى وزير بغداد (سليمان باشا) يسوق الجنود نحو البصرة ومحاربة ثويني وإخراجه منها. فصدع بالأمر وخرج الوزير من بغداد في 12 جمادى الأولى عام (1201هـ 1785م) يقود الجنود بنفسه نحو البصرة وبدأ أولاً بالمسير نحو عشيرة خزاعة وسقاها كأس الردى وأثخن فيها الضرب لانضمام رئيسها حمد بن حمود إلى الشيخ ثويني كما تقدم. وكان سليمان باشا قبل خروجه من بغداد كاتب (حموداً بن ثامر) يستقدمه. فوفد إلى

---

(1) وذلك أن حمداً بن حمود شيخ خزاعة كان قد شق عصا الطاعة على الدولة العثمانية سنة (1199هـ 1784م) فوجه وزير بغداد نحوه الجنود. وتواقعت معه في (الأهواز) حتى كسرته فتفرقت جموعه. وفر حمد إلى (الحسكة) ولما علم (عجم محمد) العاصي على الدولة أيضاً بفرار حمد التحق به وانضما معاً على العبث في أطراف العراق. ثم لحقهما بعد ذلك سليمان بن شاوي. ثم إن ابن شاوي فارقهما. وسار نحو (الشيخ ثويني) وأغراه على احتلال البصرة. والكف عن التوغل في نجد ثم حسن له بأن يسعى في خلع وزير بغداد بمكاتبة الدولة العثمانية. فانخدع ثويني بطلاوة لفظه ووافقه على مرامه. وأرسل ثويني إلى حمد بن حمود شيخ خزاعة يستقدمه للغرض ذاته وليتفقا على مهاجمة البصرة كما في تاريخها (ص325) ا هـ مؤلف.

الوزير حمود منابذاً عمه ثويني. وبعد أن أخضع الوزير قبائل خزاعة زحف بجنوده نحو بلاد المنتفق ولما وصل الموضع المسمى (أم العباس) خيم فيه وأقام به ثلاثة أيام وذلك في غرة محرم عام (1202هـ 1786م). ولما علم ثويني بقدوم الجنود العثمانية نحوه خرج إليهم بجملة من الأعراب وأهل الزبير بعد أن جعل على البصرة أخاه (حبيباً) من قبله. وتصادم ثويني مع الجنود (بأدنى المجر) عند نهر الفاضلية قرب (سوق الشيوخ) وجرت بينهما معركة شديدة أسفرت عن انكسار ثويني وتفرق جموعه وفراره إلى الجهرة (وهو اسم ماء غرب الكويت) ثم رحل منه متجهاً نحو بني خالد في (الصمان) فكانت مدة حكمه في البصرة نحو ثلاثة أشهر.

إمارة حمود بن ثامر بن سعدون المرة الأولى

فدخل سليمان باشا البصرة وأمن الأهالي وعين عليها (مصطفى آغا الكردي) ونصب حموداً شيخاً على المنتفق، ثم عاد الوزير إلى مقره كما في تاريخ البصرة (ص327).

وفي عام (1203هـ 1787م) دخلت أراضي (السماوة) تحت حكم حمود ابن ثامر بعد حرب دموية وقعت بينه وبين خزاعة، وفي تلك السنة (1203) أيضاً شق عصا الطاعة متسلم البصرة (مصطفى آغا) المذكور. وأرسل إلى الشيخ ثويني بن عبد الله يذاكره في الأمر. وكان مخيماً ببعض عشائره غربي البصرة عند (جبل صفوان) فاتفق رأيهما على العصيان بشرط أن يعاضد كل واحد صاحبه على تقوية منصبه.

ثم إن مصطفى آغا كتب (محضراً) لوزير بغداد قال فيه (إن حموداً بن ثامر) لا يتمكن من إدارة شئون مشيخة المنتفق (وإن عمه الشيخ ثويني هو رجل محنك في الإمارة وقد مارسها مدة فينبغي تعيينه شيخاً على المنتفق) فشعر الوزير بما أبطنه المتسلم. ولكن وافقه على تعيين ثويني مسايسة. وعزل حموداً عن المشيخة. وأرسل خلعة الإمارة لثويني حسب العادة، وجعل يسوسهما إلى أن تمكن من القبض على المتسلم كما في تاريخ البصرة (ص328).

مشيخة ثويني بن عبد الله المرة الثانية

ولما عين وزير بغداد الشيخ ثويني بن عبد الله بن محمد سنة (1203هـ 1787م) أخذ بزمام الإمارة. فاطمأن خاطر المتسلم بتعيين ثويني (ظناً منه بأنه نجح في مكيدته) وظل يقوي مركزه لتتميم ما عزم عليه، وكاتب كل من وافقه العصيان إلى ضبط أموره وأيدها. ثم تظاهر بالعصيان فقتل رئيس بوارج البصرة (الموزع البحري) حيث فهم بأن الوزير أمر سراً للموزع المذكور بالقبض على المتسلم، فبادر المتسلم بالقتل قبل أن يقبض.

فعند ذلك ساق الوزير الجنود من بغداد نحو البصرة يقودها بنفسه ولما وصل إلى الموضع المسمى (بالعرجاء) ترفع الشيخ ثويني من موضعه إلى البادية، وعند ما رأى مصطفى آغا تخاذل رهطه ما وسعه إلا الفرار بنفسه إلى الكويت.

ولما بلغ الوزير خبر تمزق جموع العصاة بالرعب قبل اللقاء جد في السير نحو البصرة حتى عسكر خارجها، ونصب على البصرة (الأمير عيسى بيك المارديني) متسلماً عليهما، وأعاد (حموداً) شيخاً على المنتفق وذلك عام (1204هـ 1788م) ثم قفل الوزير راجعاً إلى مقره في العام المذكور كما في تاريخ البصرة (ص330).

تولية حمود بن ثامر المرة الثانية

لما أخذ حمود بن ثامر بزمام الحكم عام (1204هـ 1788م) جمع جموعه من المنتفق وأهل الزبير، ومشى بهم يقودهم نحو عمه الشيخ ثويني وتصادم معه عند (جبل صفوان) حتى اضطره إلى التقهقر فغنم حمود خيامه وبعض عتاده وذهب ثويني إلى (الدورق) من بلاد بني كعب (جنوب البصرة) واستنصره على ابن أخيه فاعتذر له بعدم التمكن على الغزو بقوله إن حموداً هو منصب من قبل الدولة العثمانية والحرب معه تعد حرباً مع الدولة. فغادره ثويني متجهاً إلى الكويت، ومنها إلى العراق حيث ولج بغداد خفية عام (1205هـ 1789م) وذهب إلى صرح الوزارة وألقى نفسه في رحاب الوزير (سليمان باشا) وطلب منه العفو عما مضى فعفا عنه وقبل عذره، وأقام عنده مدة طويلة وجعل يترجاه في إعادته على مشيخة المنتفق كلما سنحت له فرصة وهو يتعهد للوزير بمحاربة الوهابية في نجد وصد غاراتهم المتوالية في تلك الأيام على العراق وسعى في إنجاز ذلك كثيراً من الفارين من نجد من الوهابية في ذلك الوقت. وكاتبوا سليمان باشا في ذلك

من البحرين، والكويت. والزبير. واسترحموا إعادة ثويني شيخاً على المنتفق ليمشي على الوهابية. فلبى الوزير طلبهم ووجه مشيخة المنتفق لثويني عام (1211هـ 1795م) بعد أن أمر بعزل حمود بن ثامر عن المشيخة.

تولية ثويني ـ المرة الثالثة

فتوجه الشيخ ثويني بن عبد الله من بغداد محفوف بالعساكر العثمانية بأمر الوزير حتى أوصلوه إلى مقر إمارته في موكب عظيم وذلك سنة (1211هـ 1795م) ولما استتب حكمه واستقرت أموره مع قبائل المنتفق جعل يحشد الجموع من أعراب المنتفق وأهل الزبير وأعراب الضفير، وعندما تكاملت جموعه سار بهم نحو نجد في أواخر العام المذكور، واستقدم من الأحساء رئيس بني خالد (براكاً بن عبد المحسن الخالدي) فجمع المذكور جموعه من بني خالد وسار بهم نحو ثويني منضماً له ليساعده على ردع الوهابية الذين انتزعوا منه حكم الأحساء. فاجتمع بالشيخ ثويني في (الجهرة) وقررا بينهما خطة الدفاع والهجوم. وأقاما هناك نحو ثلاثة أشهر حتى تكاملت جنودهما.

وجعلت الأعراب الفارة من أمام الوهابية تقدم عليهما من كل حدب. ثم إن الشيخ ثويني أركب بعض جنوده في السفن من البصرة ومعهم الميرة.وأمرهم بالمسير نحو (القطيف) وزحف هو بنفسه يقود الجنود براً نحو (الأحساء) فلما علم بقدومهم (محمد بن معيقل) قائد جموع الوهابية. خامره الخوف فارتحل بجموعه من (قرية) وهو اسم ماء في (الطف) حتى نزل بهم (أم ربيع وجودة) فأتى ثويني ونزل بجموعه في الطف قرب موضع خصمه. فطلب محمد بن معيقل أمداداً من الأمير (ابن سعود) فأمده بجموع تحت قيادة (حسن بن مشاري بن سعود) وأمره بأن يكون هو القائد العام للجيشين.

فلما وصل المدد إلى ابن معيقل حصل عندهم بعض النشاط. ولكن الشيخ ثويني لم يقصدهم بالحرب بل أعرض عنهم وارتحل بجموعه من الطف وسار حتى نزل موضعاً يسمى (الشباك) وهو ماء في أرض بني خالد.

وعند حط الرحال قتل الشيخ ثويني غيلة وذلك أنه كان منفرداً عن حاشيته أثناء نصب الخيام فأتاه من خلفه خادم يسمى (طعيسا) وطعنه برمح بين كتفيه[1] فخر شهيداً (فقتل ذلك الخادم في الحال ولم يستنطق عمن عمده

---

(1) طعيس كان مملوكاً للجبور من بني خالد ففر من سيده براك بن عبد المحسن وبقي عند ثويني. ثم انهزم إلى الوهابية في نجد. ثم غزاهم ثويني ذات مرة قبل هذه الغزوة وكسرهم وسبى منهم سبياً وفي ضمنه هذا العبد فأخذه وأعاده إلى سيده الأول براك المذكور. فغضب العبد وصمم على قتل ثويني. وقيل: بل إن العبد هو معمد من قبل الوهابية بقتل ثويني. ولما حانت له الفرصة أثناء نصب الخيام طعنه طعنة نجلاء. ا هـ مؤلف.

على فعلته) وحمل الشيخ ثويني إلى داخل خيمته ميتاً. ثم دفن سراً في (جزيرة العماير) وأراد رؤساء قومه إخفاء موته لئلا تنفل جموعهم وأخبروا بأنه مريض وجعلوا يطلبون له القهوة والماء تظاهراً بأنه حي. وعينوا أخاه (ناصراً) وكيلاً عنه وذلك في 4 محرم عام (1212هـ 1796م) ولكن رغم ذلك التكتم فشا خبر موته فانسل (براك الخالدي) بقومه وانضم إلى حسن بن مشاري. فوقع التخاذل والفشل في بقية الجموع. فارتحلوا منهزمين لا يلوى أحد على صاحبه. فتتبعهم حسن بن مشاري بجيوشه وظل يطاردهم حتى أوصلهم (الكويت) ثم كف عنهم وسار بقية المنهزمين حتى نزلوا ماء يسمى (أصفوان) ثم شرع إخوة ثويني في لم شعث جنودهم ليعيدوا الكرة على الوهابية مرة ثالثة. إلا أن وزير بغداد صرف نظره عنهم وولى مشيخة المنتفق لحمود بن ثامر. وكان ثويني قد أعقب من الأبناء (براكاً. و).

تولية حمود ـ المرة الثالثة

لما تولى حمود بن ثامر إمارة المنتفق سنة (1212هـ 1796م) سار في الحكم بسيرة حسنة فخضعت لسطوته الأعراب. لأنه كان معدوداً في فرسان العرب وشجعانهم كما وأنه يعد في أذكيائهم ودهاتهم. وله وقائع وأيام مشهورة أقر له فيها خصماؤه. فمن أيامه وهو فتى في حياة والده (يوم الرضيمة) وهو يوم لسعدون بن عريعر الخالدي على ثامر السعدون فإنه في ذلك اليوم طاعن مطاعنة الفحول. ومنها (يوم أبي حلانة) عام (1192هـ 1777م) وهو يوم للمنتفق على (محمد علي خان الزندي) قائد العجم في البصرة كما في تاريخها (ص322) فإنه ما عرف حمود وذكر اسمه بين الشجعان إلا في ذلك اليوم ومنها (يوم علوى) اسم ماء على ساحل غدير يبعد عن البصرة بنحو (25) ميلاً جهة الغرب فإنه كان فيه فارس الكتيبة. وله عدة أيام مشهورة تقدم ذكر بعضها. وفاتنا ذكر البعض الآخر (لفقد مسودة تاريخ المنتفق منا) كما وضحنا ذلك في مقدمة تاريخ البحرين. ومن محاسن حمود بن ثامر إفشاء السلام على من عرف ومن لم يعرف. وإطعام الطعام. حتى إنه ليلزم ضيوفه بالمقام عنده أعواماً. ومن ديدنه السؤال عن جليل الأخبار السياسة وغيرها. وإنه لذو حلم ووقار. ولما كف بصره آخر عمره ازداد هيبة ووقاراً. وعظم ملكه وسلطانه واستمرت مشيخته الأخيرة إلى سنة (1242هـ 1825م) كما سيأتي:

على أن الشيخ حموداً كان ينتقد عليه في إناءته المفرطة. وإنه لا يسمع شكاية في عماله ولو تظاهروا بالظلم. ولا يصغي لمنتقد على كاتبه ولو جار أو عطل أمور الرعية. وإن صاحب الظلامة يمكث في ضيافته مدة ويأكل من طعامه في تلك المدة أكثر مما يطلبه. وهو مستبد برأيه.

الحوادث في زمن إمارة حمود

وفي سنة (1213هـ 1797م) حشد وزير بغداد الجنود وساقها نحو (الأحساء) تحت قيادة (الكتخدا علي بيك) لمحاربة الوهابية الذين احتلوا الأحساء وصحبه بأمر الوزير (حمود بن ثامر) بأعرابه وفي ضمنهم عشائر عقيل يرأسهم يومئذ (ناصر بن محمد الشبلي) وعشائر شمر ويقودهم رئيسهم (فارس بن محمد الجربا الشمري). وأصحب الوزير أيضاً مع الكل (محمداً بن عبد الله بن شاوي الحميري) أحد دهاة العرب في أيامه ومعه ثلة من أهل الزبير يقودها (إبراهيم بن ثاقب بن وطبان) فسارت تلك الجموع نحو الأحساء حتى نزلت (المبرز) وحاصروا قلاع البلدة وظلت المدافع تقذف قنابلها عليهم وفي أثناء مدة الحصار غزا الشيخ حمود أطراف نجد فأغار على قبيلة (سبيع) وغنم منهم إبلاً وضأناً. وكان بصحبته في هذه الغزوة (فارس الجربا) وابن أخيه بنية ابن قرينيس[1] وكان بنية أحد من اشتهر بالكرم والشجاعة والنخوة. ولما قفل حمود بغنائمه وأقبل على (الكتخدا) قدم إليه الغنيمة إمداداً للجنود فقويت همة الكتخدا على مثابرة الحصار. ولكن جنوده سئمت الحرب فتمكن بعض الخونة من إفساد آراء الجند فتظاهروا بالضجر فاضطر الكتخدا للانسحاب. فقوي عزم الوهابية وخرجوا في أثرهم يطاردونهم حتى أدركوهم في موضع يقال له: (تاجا) ثم نزلت جموع الوهابية في الموضع المسمى (الحناءة) واشتبك القتال بين الفريقين فقتل من المنتفق (خالد بن ثامر) أخو حمود. وبينما الفرسان في طراد وطعان وإذا بالكتخدا قد جنح إلى الصلح بترغيب من (إبراهيم ابن ثاقب بن وطبان) لأنه كان متهوماً بميلانه إلى بعض عقائد الوهابية. فجعل يلقى الرعب لدى الكتخدا ويجسم له هول الموقف الحرج حتى خامره الروع وجنح للصلح.

---

(1) تصغير قرناس. والقرناس في أصل اللغة شبه أنف بتقدم الجبل ا هـ مؤلف. والقياس في تصغير قرناس: قرينيس. اهـ مصحح.

وفي أواخر عام (1220هـ 1804م) حاصر سعود بن عبد العزيز أمير الدرعية البصرة وقتل وسلب وحرق. فصابر متسلم البصرة (إبراهيم آغا) ودافع عن البلد مدافعة الأبطال. ثم أتاه حمود بقومه وانضم الكل على مكافحة الوهابية حتى ألجأوهم إلى التقهقر والانسحاب من نواحي البصرة.

وفي 10 ربيع الثاني عام (1221هـ 1805م) لما ساق على باشا وزير بغداد الجنود نحو أراضي العجم يقودها بنفسه لمحاربة (فتح على خان) حتى أوغل في حدود (إيران) وعسكر هناك ثم وجه الجنود نحو مواقع العجم تحت قيادة ابن أخته (الكتخدا سليمان بيك) فصادمته طليعة يقودها (عبد الرحمن باشا) جبار الكرد. الذي كان طريداً في أرض العجم وجرت بينهما معركة دموية انهزم فيها سليمان بيك وأخذ أسيراً عند العجم. فلما وصل خبر الحادثة إلى خاله الوزير علي باشا اضطر إلى التقهقر والتحصن في الجبال إلى أن قدم إليه حمود بن ثامر بقومه فانسحب الكل بانتظام وعادوا إلى بغداد فدخلوها في رجب من العام المذكور. (فأكرم الوزير في بغداد حموداً على علو همته ومساعدته لدولته وأحسن جائزته بعد أن كان بينهما تباغض شديد) ثم بعد مدة أطلق العجم سراح سليمان بيك ورجع إلى بغداد.

وفي عام (1225هـ 1809م) لما بلغ وزير بغداد سليمان باشا بأن متسلم البصرة (سليمان بيك) ظهرت منه بوادر يفهم منها أنه يريد شق عصا الطاعة فعند ذلك أمر الوزير (حموداً) بالمسير مع قومه نحو البصرة فسار إليها وحاصرها وأتاه أهل الزبير مساعدين له فجعلهم في جهة معينة تحت قيادة ابنه (برغش ابن حمود) وظل الكل مثابرين على حصار البصرة حتى احتلوها كما في تاريخها (ص331).

وفي سنة (1227هـ 1811م) لما قفل وزير بغداد عبد الله باشا راجعاً من محاربة الأكراد وتأديب العصاة العابثين في نواحي الموصل. ووصل إلى (الجديدة) قاصداً بغداد مقر وزارته بلغه هناك بأن (سعيد باشا بن سليمان باشا) الأول. قد فر من بغداد في (9 آب) من العام المذكور ملتجئاً إلى شيخ المنتفق حمود بن ثامر. ليساعده على توجيه وزارة بغداد له (أي لسعيد باشا) بمكاتبة الدولة في ذلك. فغضب الوزير لذلك ولما استراحت الجنود في بغداد أمر بحشدها مرة ثانية. وأصدر أمراً بعزل حمود عن مشيخة المنتفق لقبوله التجاء سعيد باشا إليه. وعين بدله نجماً بن عبد الله.

إمارة نجم بن عبد الله بن محمد بن مانع

وفي عام (1227هـ 1811م) عين الوزير شيخاً على المنتفق نجماً بن عبد الله أخا ثويني. وفي غرة ذي القعدة من العام المذكور خرج الوزير من بغداد يقود الجنود بنفسه يؤم بها حموداً. بعد أن أرسل له رسلاً يطلب منه تسليم سعيد باشا ولما امتنع من تسليمه كما هي عادة العرب في الدخيل عندهم زحف الوزير عليه بالجنود. وعند وصوله أرض المنتفق عبر من غربي الفرات إلى الجزيرة فانضم إليه شيخ ربيعة (مشكور) وسار بقومه. وكان مشكور هو قائد أول طليعة للجيش فتصادم مع (صالح بن ثامر) وجرت بينهما معركة عنيفة أسفرت عن قتل مشكور وتفرق قومه. فزحف الوزير بالعساكر حتى نزل قريباً من عشائر المنتفق ثم دارت رحى الحرب بين الفريقين. فطعن (برغش بن حمود بن ثامر) ونُقل جريحاً إلى مخيمة. ثم حمل علي بن ثامر علي نجم بن عبد الله (الرئيس الجديد للمنتفق) فقتله. فانخذل (آل قشعم) الموالون للوزير[1] فقويت شوكة المنتفق. ثم جعلت القبائل تلتحق بهم حتى انضم إلى المنتفق غالب العشائر فحمى وطيس القتال على الوزير حتى طلب الأمان لنفسه ولطاهر بيك ولمن معهما من الخواص فأعطاهم حمود الأمان (ولكنه لم يف به) لأن أعراب حمود جعلوا ينهبون العساكر ولم يبقوا لأحد منهم ما يستر به عورته ولا ما يسد به رمقه. ولا مانع لهم.

---

(1) رئيس آل قشعم اليوم (عقاب بن صقر بن ثويني بن عبد العزيز بن حبيب بن صقر بن حمود بن كنعان بن ناصر بن مهنا بن سعد بن غزي) بكسر الغين وهو الذي نزح من نجد إلى أطراف العراق في القرن (10هـ 16م) أي (غزى) هو الذي نزح من نجد. وإنه في سنة (1152هـ 1738م) شق عصا الطاعة عشيرة آل قشعم فحشد وزير بغداد (أحمد باشا) العساكر وسار بها يقودها نحوهم وتواقع معهم حتى كسرهم وفر أميرهم (صقر الأول بن حمود) وغنمت العساكر منهم مغنماً مهماً من الأنعام. وكان قد أمر أحمد باشا الجنود بعدم التعرض لبيت صقر إكراماً لمنزلته. ثم طلب صقر الصلح فصالحه أحمد باشا وعفا عنه. وقد مدح (أحمد باشا) السيد عبد الله فخري زادة بقصيدة عدد أبياتها (23) بيتاً جاء فيها بيت حوى الطباق والتورية والكناية:

عقاب الوغى لما بدا طار (صقرهم) لدى حيث ألفت رحلها أم قشعم

والواقعة حصلت سنة (1152هـ) كما تقدم فأرخها الشيخ عبد الله السويدي في آخر بيت من قصيدة له امتدح بها الوالي أحمد باشا المذكور. وهو:

إن يضق رحب الصحارى أرخوا هل لصقر في صحارى الهول وكر

35 420 90 309 72 226

(1152هـ) (1738م) ا هـ مؤلف.

إمارة حمود بن ثامر - المرة الرابعة

وبعد أن قتل نجم بن عبد الله في أثناء المعركة كما تقدم. تريس بالقوة في مكانه (حمود بن ثامر) وذلك عام (1228هـ 1822م) ولما طلب الأمان الوزير لنفسه ولمن معه وسلم نفسه. أمر حمود باعتقال عبد الله باشا الوزير المذكور ومعه طاهر بيك وشخص ثالث معهما فكبلوا في الحديد. وأرسل بهم على (سوق الشيوخ) حيث سجنوا هناك. ولما مات برغش بن حمود من تلك الطعنة التي طعنها في ميدان القتال. ذهب عمه راشد بن ثامر إلى السجن وقتل الثلاثة المذكورين (عبد الله باشا وطاهر بيك وصاحبهما) خنقاً بالحبال. وبعد أن قبروا أعاد عليهم فنبشهم وقطع رؤوسهم وشهرها ثأراً لابن أخيه برغش.

وبعد تلك الحوادث توجه سعيد باشا إلى بغداد وصحبه حمود بقومه حتى دخلا بغداد بمحفل عجيب. فكاتب سعيد باشا الدولة العثمانية طالباً وزارة بغداد لنفسه فأرسلت الدولة له (مرسوماً) بإسناد إيالة بغداد إليه وشهر زور والبصرة فوصله في عام (1228هـ 1812م) فبعد ذلك أكرم سعيد باشا (حموداً) إكراماً جزيلاً ومنحه جميع ما في جنوب البصرة من القرى والنخيل يستوفي وارداتها لنفسه هي وما جاورها (وهو قسم لا يستهان به) لأن إيراده كان يقارب ثلث إيراد العراق (في ذلك الزمن) ولما انتظم أمر سعيد باشا في بغداد واستتب له الأمر رجع حمود إلى مقره. وكان في الحقيقة زمام أمور سعيد باشا في يد حمود يديرها كيفما شاء. وقد ابتسم الزمان للمنتفق في ذلك العصر وأطاعهم الحاضر والبادي. وقصدتهم الشعراء وأجازوا بالجوائز العظام التي ربما فاقت على جوائز بني العباس.

وكان لما تولى سعيد باشا وزارة بغداد عام (1228هـ 1812م) كما تقدم. خشي منه (بنية بن قرينيس الجربا الطائي) وخاف على نفسه فعبر من الجزيرة إلى النواحي الواقعة غربي الفرات لما بين عمه (فارس الجربا) وآل عبيد الحميري من الضغائن لا سيما وأميرهم يومئذ (قاسم بن محمد بن عبد الله ابن شاوي الحميري) وكان سعيد باشا يميل إلى تنفيذ قوله ورأيه فخاف بنية منهما وظعن من الجزيرة.

وفي سنة (1231هـ 1815م) نزل (بنية) بعشيرته على قبيلة خزاعة ليكتال منهم وكان بينه وبين (الدريعي الرويلي العنزي) ضغائن قديمة فاقتفى الدريعي أثر (بنية الجربا) حتى نزل قريباً منه. واستنفر حموداً بن

ثامر فقدم إليه بقومه. وأرسل وزير بغداد لهما مدداً تحت قيادة قاسم بن محمد الشاوي ومعه عساكر عقيل النجدية ليعقبوا (بنية الجربا) لأن الكل يهابه ويخشاه. فمشت تلك الجموع نحوه حتى تصادموا معه وحصلت بينهم معركة دموية انجلت عن قتل بنية وقطع رأسه وإرساله إلى الوزير (وكان بنية هذا يعد في فرسان العرب وشجعانها. وله كعمه فارس الجربا هيبة وعظمة أيام وزير بغداد علي باشا.

وفي سنة (1231هـ 1815م) أيضاً حصل سوء تفاهم بين سعيد باشا و(كتخداه) كاتب سره (داود باشا) فهمّ الوزير باغتيال الكتخدا. ولما أحس داود باشا بالمؤامرة عليه ركب متن الحذر ثم خرج من بغداد (في 12 ربيع الأول) من العام المذكور. وتوجه إلى (كركوك) مع أتباعه وحاشيته وهم نحو (200) رجل. ثم أرسل كتاباً إلى الدولة العثمانية وأخبرهم بما يجريه سعيد باشا مع الرعية من سوء المعاملة والعسف في الأحكام. وبسط القول فيه بطلاوة لفظه وحسن تحريره المشهور عنه فعاد إليه الجواب من السلطنة مع (مرسوم) مذكور فيه عزل سعيد باشا وتولية (داود باشا وزارة بغداد) فتلاه داود باشا في مجلسه أمام الحاضرين ثم أرسل صورته إلى حمود بن ثامر يعلمه بالأمر لأنه صديق لسعيد باشا فلم يعبأ حمود بذلك لقوة نفوذه وسلطته في ارض العراق. فعزم داود باشا على عزل حمود وتولية (عقيل بن محمد بن ثامر) رئاسة المنتفق فلما بلغ حموداً ما عزم عليه داود باشا خشي على مركزه وجنح إلى مسالمة داود باشا. وأرسل إلى سعيد باشا يشير عليه في تسليم أمر البلاد وترك العناد. وان لا فائدة في الحرب وسفك الدماء حيث إن تعيين داود باشا هو صادر بموجب (منشور سلطاني) فلم يصغ سعيد باشا إلى نصيحة حمود. فاضطر حمود للارتحال من نواحي بغداد مبتعداً عن سعيد باشا. ويمم أرض المنتفق حيث نزل جنوبها. فلما بعد الشيخ حمود عن بغداد استخف أهاليها بالوزير وثاروا عليه حتى ألجأوه إلى التحصن في بعض القلاع. ثم أرسلوا إلى داود باشا يستقدمونه بقولهم: (أقبل ولا تخف إنك من الآمنين) وليس لك معارض ولا منازع ونحن معك. فأقبل داود باشا نحوهم ودخل بغداد في 5 ربيع الثاني عام (1232هـ 1816م) وهنأته الشعراء بالقصائد الغراء.

حصار الزبير وقتل ابن الزهير

حدث في سنة (1238هـ 1821م) فتنة في قصبة الزبير ناشئة عن تباغض حصل بين آل زهير[1] ومحمد بن ثاقب بن وطبان الذي جعل نفسه وكيلاً للمنتفق كما وضحنا ذلك في تاريخ البصرة (ص225) وقد أرجأنا بسط الحادثة إلى الطبعة الثالثة إن شاء الله تعالى ريثما نحيط علماً بتفاصيل المسألة تماماً من ذوي الخبرة. لأن الأخبار التي تلقيناها متناقضة. وأقربها إلى الصواب ما افدنا به صديقنا (الحاج حمد بن عبد المحسن الصالح البصري الزبيري ثم الكويتي) حيث قال: إن حموداً بن ثامر السعدون حاصر الزبير في العام المذكور. وكان شيخ الزبير (عبد الرزاق بن يوسف بن يحيى الزهير) وكان على فراشه (راشد بن ثامر السعدون) وظل حمود محاصراً لها نحو ستة أشهر وأهلها يكافحونه. ولما لم ينل طائلاً عزم على الرحيل والعودة إلى مقره. فأجّله محمد بن ثاقب الذي كان في معية حمود وتعهد له بتخوين أهل الزبير وسعى في ذلك حتى تمم الأمر مع (آل راشد أهل حريملة) وهم من أعيان أهل الزبير. ثم عاد إلى الشيخ حمود وأخبره بنتائج سعيه. ولكنه طلب بأن يكون هو (أي: ابن ثاقب) شيخاً على الزبير بعد احتلالها.

2 - وأن لا يدخلها أحد من قوم المنتفق خوفاً من وقوع نهب أو فتنة في البلدة.

فأجابه الشيخ حمود بقوله (لك ذلك) ونحن ليس لنا مقصد سوى أخذ الثأر من آل زهير فقط (لأن علياً بن ثامر السعدون قتل أثناء محاصرتهم الزبير) فقال ابن ثاقب: أنا أسلمك آل زهير جميعهم. فاتفقا على ذلك وطلب ابن ثاقب كفيلاً على إتمام ذلك الأمر. فاستقدم حمود (رئيس الضفير سلطان بن مرشد السويط) فلما حضر هو ومعه من مشايخ خزاعة (ابن منّاع) أمرهما بأن يتعهدا لابن ثاقب بما جرى عليه الاتفاق بين الطرفين. فتكفل سلطان السويط بذلك وأشهد على نفسه. فنهض ابن ثاقب وأخذ معه جملة من ربعه وتوجه بهم ليلاً نحو باب الزبير الشمالي. وهناك وجد (عبد الرحمن بن مبارك آل راشد قد فتح الباب مع حاشيته مستعداً لملاقاتهم حسب الوعد). فأدخلهم البلدة. وذهبوا حتى تمكنوا على قبض الشيخ عبد الرزاق الزهير وإخوته ومن يلوذ بهم من بيوتهم.

---

(1) آل زهير أصلهم من نجد من أهل بلدة حريملة انحدروا في جملة من انحدر من نجد فراراً من الوهابية فنزلوا (قصبة الزبير) لعله في أواخر القرن (12هـ 18م) واستوطنوها وصارت لهم زعامة عرب الزبير. وأول من انحدر منهم (يحيى الزهير) ومعه ابناه (يوسف. وسليمان) كما في تاريخ البصرة (ص224).

ثم نادوا في البلدة بالأمان. ولا مطلب للمنتفق في البلدة إلا آل زهير وقد قبض عليهم جميعاً.

وإن كل شخص هو باق على وظيفته كما كان من قبل. فهدأت الناس وارتفع الحصار. ولما مثل زعيم آل زهير الشيخ عبد الرزاق بن يوسف أمام الشيخ حمود وأيقن بالهلاك أحب أن يفتدي نفسه بالمال فقال للشيخ حمود: يا طويل العمر (أحمران لا يجتمعان) دم أحمر وذهب أحمر. فاختر أيهما شئت إن أردت سفك دمنا فها نحن أمامك. وإن أردت الذهب الأحمر فعاهدنا على الأمان ونحن نعطيك ما شئت منه. فجنح الشيخ حمود إلى أخذ المال. فلما بلغ الخبر لا بني علي بن ثامر السعدون أقبلاً مغضبين على الشيخ حمود وقالا له: يذهب دم أبينا هدراً وتشتريه بالمال. وأوعز له بعدم القبول فأعرض عن أخذ الفداء وأسلمهما الشيخ عبد الرزاق ومن معه فأخذاهم إلى الخارج وقتلا منهم سبعة من آل زهير.

ثم ارتحل الشيخ حمود عن ضواحي الزبير بعد أن تأمر عليها (محمد بن ثاقب) ثم أقامت آل زهير الدعوى على ابن ثاقب حتى تحصلت على الحكم بإعدامه فأعدمته الحكومة كما في تاريخ البصرة (ص226) وكان قد فر من الزبير الشيخ سليمان بن عبد الرزاق الزهير وصحبه راشد بن ثامر السعدون والتجأ إلى حاكم الكويت الشيخ جابر الصباح.

وفي سنة (1240هـ 1823م) وفد على الوزير داود باشا أحد أعيان المنتفق (محمد بن عبد العزيز بن مغامس) فأكرمه الوزير وأحسن نزله. فلما رأى توجهات الوزير نحوه ترشح لمشيخة المنتفق (حيث إنه كان له جاه ومقام عال زمن الشيخ ثويني بن عبد الله. وزمن (حمود بن ثامر) فما وافقه الوزير على ذلك معتذراً بأنه وعد بها (برّاكاً بن ثويني بن عبد الله).

وفي عام (1241هـ 1824م) توجه إلى بغداد (حنيان بن مهنا بن فضل بن صقر) أحد رؤساء آل شبيب فوفد على الوزير داود باشا فأجله. ثم إنه طلب جلسة رسمية مع الوزير فاجتمع به في جلسة خصوصية وكان في صحبته (محمد بن عبد العزيز بن مغامس) فتذاكر معه في مشيخة المنتفق. فجنح الوزير إلى عزل حمود. وتولية (براك بن ثويني) حسبما وعده بها. ثم وفد على براك جماعة من كبراء قومه (آل صالح وآل شبيب) وقدم إليه أيضاً محمد بن مناع الأجود العقيلي أحد مشائخ حلفاء المنتفق. فقوى عضد براك بهؤلاء الوجهاء وترجحت توليته ولكن لم يصدر بذلك أمر رسمي.

وفي تلك السنة (1241هـ) غز/براك بن ثويني المذكور بمن معه من آل شبيب (عفكا) وقاسماً بن شاوي لأنهما كانا ممن خرج عن طاعة الوزير. وكان غالب العصاة منضمين لهما الكل متحصن بين (الأهوار) الغدران. فخاض براك الماء نحوهم بقومه وتواقع معهم حتى ردعهم. ثم عاد موفقاً. وقد قتل في هذه المعركة من آل شبيب (دويحس بن مغامس بن عبد الله بن محمد بن شبيب بن مانع) وقتل أيضاً أحد أبناء ثامر بن مهنا بن فضل بن صقر، وكان مع براك من رؤساء العشائر (شيخ زبيد).

ولما فشا خبر عزل حمود وبلغه ذلك تظاهر بالعصيان على الدولة وأرسل يستقدم محمد بيك الكتخدا العاصي على الدولة والمقيم في (الحويزة) فجاءه مسرعاً فجعلا يثيران الفتن ويشنان الغارة على نواحي العراق. وانضم إليهما جماعة من آل قشعم وآل حميد وآل رافع: فلما بلغ الوزير خبر ما أجراه حمود حنق وصمم على عزله وتولية عقيل بن محمد كما سيأتي.

إمارة عقيل بن محمد بن ثامر

وفي سنة (1242هـ 1825م) لما وفد عقيل بن محمد الثامر على (الوزير داود باشا) في بغداد أكرمه وولاه مشيخة المنتفق وألبسه خلعة الإمارة وأعطاه جملة من الأسلحة والذخائر وأمره بالتوجه إلى (سوق الشيوخ) وطنه ومركز إمارته ومنزل عشائره. ثم أرسل الوزير إلى متسلم البصرة (عزيز آغا) وأمره بإعلان عزل حمود وتولية ابن أخيه عقيل، وأمره أيضاً بالتحفظ على البصرة ونواحيها فلما أعلن المتسلم تولية عقيل غضب حمود وجاهر بالعصيان وأمر ابنيه (ماجداً وفيصلاً) بأن يقصدا البصرة بأعرابهما فيحاصراها إلى أن يحتلاها، واستقدم لمساعدتهما (بني كعب شيعة المحمرة) وكذلك استدعى (سلطان مسقط، السيد سعيد) للغرض ذاته فأقبل إليه بعساكره الأباضية، وملأ بأسطوله الشراعي شط البصرة فسار ماجد بن حمود حتى نزل بأعرابه عند (نهر معقل) شمال البصرة وذهب أخوه فيصل حتى عسكر على (نهر أبي سلال) جنوب البصرة وانضمت إليه عساكر مسقط وبنو كعب.

وحاصر الكل البصرة وضيقوا نطاق المحاصرة فتجمع البصريون مع عساكر عقيل النجديين (الذين هم في داخل البصرة) وهاجموا جموع فيصل على غرة وحملوا عليهم حملة رجل واحد حتى كسروهم فاضطر فيصل

للانسحاب من ذلك الموضع بعد تمزق جموعه والتحق بجيش أخيه ماجد عند نهر معقل.

فهدأ روع البصريين وصمموا على مثابرة الدفاع ومكافحة المحاصرين بأنواع الخداع، وأرسل المتسلم رسلاً إلى سلطان مسقط وصالحه على شيء من المال فأخذ وأقلع بأسطوله من الشط وعاد إلى وطنه كما في تاريخ البصرة (ص334).

وكان خروج عقيل بن محمد من بغداد في ربيع الأول عام (1242هـ 1825م) متجهاً نحو مركز حكمه، وفي أثناء مسيرة مر على (سليمان بيك الميراخور) الذي وجهته الحكومة لتأديب العصاة فوجده محاصراً لعشيرة الأقرع) وهم من الجبور من سبيع اشتهروا بذلك اللقب، وكان معهم آل قشعم، ومحمد بيك الكتخدا العاصي على الدولة العثمانية، ومعهم أيضاً (رستم خان) رئيس بعض عشائر الشيعة، وكان مع سليمان بيك قبيلة زبيد، وعقيل، وشيخهم يومئذ (جعفر) وقبل وصول عقيل إليهم جرت بين الفريقين معركة دموية أسفرت بانكسار عشائر الأقرع بعد أن أصلاهم سليمان بيك ناراً حامية بمقذوفات البنادق والمدافع فولوا مدبرين. ثم لما وصلهم عقيل أعادوا الكرة إلى عشيرة الأقرع، وتواقعوا معهم عند (قلعة شخير) فأظهر فيها عقيل من الشجاعة والفروسية ما أبهر العقول. وكان (صفوق الجربا) مصاحباً لعقيل بأمر الوزير.

وفي تلك المدة كان أبناء حمود محاصرين البصرة، ولكن لما انسحب عنهما سلطان مسقط ضعفت شوكتهما: ثم بعد ذلك فارق فيصل أخاه ماجداً وسار إلى والده حمود، وبقي ماجد مثابراً على محاصرة البصرة وأوعد قومه إذا احتلوا البصرة بأن يبيحها لهم ستة أيام، فجعلوا يعملون سلالم ليتسلقوا بها سور البصرة فبينما هم كذلك وإذا بأهل الزبير يهاجمونهم من جهة الغرب (وذلك بأمر المتسلم) وفي أثناء اشتغالهم في الحرب بصد هجوم الزبيريين خرج إليهم المتسلم بالعسكر من البصرة من جهة الجنوب وأحاط بهم وأصلاهم ناراً حامية ألجأهم فيها إلى الفرار لا يلوي أحد على صاحبه حتى وصلوا إلى حمود في مقره متفرقين بغير انتظام.

وعندما بلغ حمود وصول عقيل بلدة البغيلة[1] وأن غالب عشائر حمود قد انضمت إلى عشائر عقيل. اضطر إلى الارتحال هو وأبناؤه مع قومهم وتوغلوا في البادية إلى أن يعرفوا حقيقة الأمر.

ثم سار عقيل مستمراً في مشيه بجموعه حتى نزل (سوق الشيوخ) مقر حكمه. ثم شرع في أسباب الحيلة في القبض على حمود حتى تمكن منها وقبض على حمود وأرسله إلى الوزير في بغداد حيث سجن هناك. ثم بعد مدة حصل في بغداد طاعون مجحف فأمرت الحكومة العثمانية بإطلاق سراح جميع السجناء وكان من ضمنهم (الشيخ حمود) فتوجه نحو (حلب) فمرض فمات في الطريق فدفن في الموضع المسمى (تل أسود) وكان قد أعقب من الذكور (عبد العزيز. وبرغشاً. وفيصلاً. وماجدا)[2] والأخيران هما اللذان حاصرا البصرة كما في تاريخها (ص 333) وإن أحفاد فيصل هم (حمود ومحمد وفيصل وعقاب وحمد) والكل هم أبناء مطلق بن فيصل بن حمود.

قيام أبناء حمود بن ثامر وقتل عقيل

فحنق أبناء حمود لموت أبيهم غريباًُ. وأجمعوا على الانتقام من الشيخ عقيل لأنه هو الذي أسلم أباهم للحكومة. وهم (عبد العزيز وبرغش. وفيصل[3] وماجد وسلطان). وطلال[4] ونهضوا متجمعين تحت زعامة عبد العزيز بن حمود وانضمت إليهم أعمامهم أبناء ثامر بعشائرهم. فهاجموا عقيلاً وجرت بينهما معركة عنيفة أسفرت بقتل عقيل وتفرق جموعه، وحمل عقيل ودفن في الموضع المسمى (صبيح) في شمال شطرة المنتفق، وكان قد أعقب من الذكور (فارساً، وعبد الله).

---

(1) البغيلة بلدة صغيرة على الشاطئ الغربي من دجلة وكانت تسمى (النعمانية) لأنها من بناء النعمان الثالث ابن المنذر الرابع الذي تولى حكم (الحيرة) من عام (38 ق هـ 585م) إلى سنة (13ق هـ 609م) حيث قتله أبرويز ونصب محله إياس ابن قبيصة الطائي ولستة أشهر من ولاية إياس بعث نبينا محمد ﷺ. ثم في سنة (1332هـ 1914) أمرت الحكومة العثمانية بأن يعاد إليها اسمها السابق (النعمانية) فلما احتلها الإنكليز عام (1335هـ 1917م) أعاد العوام اسم البغيلة عليها وظل إلى يومنا هذا. ا هـ مؤلف.

(2) أعقب حمود كذلك من الذكور سلطان وطلالاً كما ذكر المؤلف ذلك فيما بعد. ا هـ.

(3) فيصل أعقب (مطلق بيك) ومطلق بيك خلف حمودا. ومحمداً. وفيصلاً. وعقاباً. وحمداً. ا هـ مؤلف.

(4) طلال أعقب (عبد الله) وعبد الله خلف (عبد العزيز) وعبد العزيز خلف (عبد الله) ا هـ مؤلف.

إمارة ماجد بن حمود

لما تفوق أبناء حمود على عقيل وقتلوه تعين من قبلهم ماجد بن حمود شيخاً على المنتفق برضاء أخيه عبد العزيز الذي كان زعيم الثورة على عقيل، وجعل ماجد يدير شئون الإمارة إلى أن آلت إلى عيسى بن محمد بن ثامر، وكان لماجد من الولد سليمان، ومحمد وعبد العزيز. وفهد.

إمارة عيسى بن محمد

أخذ عيسى بن محمد بن ثامر بعنان المشيخة وجعل يدير شئون قومه إلى سنة (1259هـ 1842م) حيث حدث في قصره حريق هائل ليلاً وكان باب حجرته مغلقاً عليهم حسب العادة فما شعر إلا والنار محدقة به من جميع الجهات فذهل ولم يتمكن من الخروج ولا قدر أحد على إنقاذه فاحترق هو وزوجته فماتا في الحريق. فأرخت وفاته بقولهم (الشيخ حريق = 1259) وكان له من الولد (صالح وعبد الله) فتولى محله أخوه بندر.

إمارة بندر بن محمد

تقلد مشيخة المنتفق بندر بن محمد بن ثامر سنة (1259هـ 1842م) بعد وفاة أخيه. وأدار أمور الحكم كما يرام إلى أن توفي عام (1264هـ 1847م) وقد أعقب من الذكور (محمداً. وحموداً). فقام مكانه أخوه فهد.

إمارة فهد بن محمد

أخذ بزمام مشيخة المنتفق فهد بن محمد بن ثامر سنة (1264هـ 1847م) وشرح في إدارة المشيخة ولكن لم تطل مدته. بل داهمه الموت بعد ثلاثة أشهر من إمارته. وكان له من الولد (سعدون، وثامر، وعبد العزيز، وعبد العالي، وعقيل).

ثم بعد موت فهد حصل تنافر في داخلية المنتفق وتشاحن ونزاع على المشيخة أدى إلى الشقاق ومشق الحسام بين آل سعدون (آل محمد. وآل علي. وآل راشد) وجرت بينهم معارك تفوق فيها (آل محمد) وتريس منهم على المنتفق فارس بن عقيل.

إمارة فارس بن عقيل

فأخذ بزمام أمارة المنتفق فارس بن عقيل بن محمد بن ثامر (لعله) في سنة (1265هـ 1847م) وجعل يدير شئون الإمارة. إلى أن حصل بينه وبين ناصر ومنصور ابني راشد بن ثامر خلاف أدى إلى الحرب بين الفريقين فأسفر بانتصار آل راشد فسلبوا المشيخة من فارس. وكان قد أعقب (عقيلاً. ومزعلاً. وناصراً. وعبد الهادي، وعبد الكريم، ومنصور، وسيف. وعفات).

إمارة منصور بن راشد المرة الأولى

لما تفوق آل راشد على فارس بن عقيل عينوا منهم (منصوراً بن راشد) شيخاً على المنتفق فأخذ بعنان الإمارة وشرع في تدبير الأمور وتثبيت مشيخته. ثم حصل بينه وبين وزير بغداد خلاف أدى إلى عزله وتعيين فهد ابن علي في محله بأمر رسمي.

إمارة فهد بن علي المرة الأولى

لما وجه وزير بغداد مشيخة المنتفق إلى فهد بن علي بن ثامر قام بأعباء الإمارة خير قيام، وأخذ بعنان الحكم يديره على ما يرام ولكن لم تطل مدة حكمه لحصول سوء تفاهم بينه وبين الحكومة استوجب عزله وتولي صالح ابن عيسى محله.

إمارة صالح بن عيسى

تولى مشيخة المنتفق صالح بن عيسى بن محمد بن ثامر. وضمن من الحكومة العثمانية خراج أراضي المنتفق. ولكنه كان مصراً على الاستقلال والانفصال عن الحكومة، وعندما أخذ بعنان الأمور شرع في الاستعداد

للعصيان فبنى قلعة[1]. للتحصن فيها حينما يجاهر بالعصيان فأحست الحكومة بمكيدته وما عزم عليه فأصدرت أمرها بعزله في السنة التي تعين فيها لأنه ظهرت منه بوادر العصيان بعد دفعه القسط الأول من الخراج المقرر عليه. وأرجعت في المشيخة منصوراً بين راشد. وكان لصالح من الولد (فرحان، وسلطان، ومحمد، وعلي، ومحيسن، وفهد، وسليمان، ومطلق، ومحيا، وعثمان، وغضبان).

إمارة منصور بن راشد المرة الثانية

أخذ منصور بن راشد بزمام المشيخة وجعل يديرها على أحسن ما يرام. فتحصل من الحكومة على رتبة باشا فدعي (منصور باشا). وفي عام (1268هـ 1850م) لما تعين (محمد رشيد باشا الكوزلكي) والياً على بغداد. ومشيراً لفيلق الحجاز والعراق، وجه همته نحو أراضي المنتفق. وشرع في استخلاصها من أيدي المتغلبين تدريجياً. ليجعل إدارتها بيد الحكومة العثمانية مباشرة. فأقنع الوالي المذكور منصور باشا بإفراز (السماوة) بما يتبعها من قوى وعشائر لأجل أن تلحق بلواء الحلة. فقبل منصور باشا بذلك فأيده الوالي على مشيخة المنتفق.

ثم بعد ذلك وقعت حوادث (لا حاجة لذكرها) ولكنها أسفرت عن استيلاء الجنود العثمانية على (سوق الشيوخ) فاضطر منصور باشا إلى الرضوخ لأوامر والي بغداد. ورضي بأن يفرز قسماً آخر من أراضيه أيضاً.

وفي 14 شعبان عام (1272هـ 1854م) تعين قائم (لسوق الشيوخ) حسين باشا (أحد أمراء العسكر العثماني) وبقي منصور باشا شيخاً على عشائر المنتفق فقط.

وفي سنة (1273هـ 1855م) لما تعين (عمر باشا السردار) والياً على بغداد. وأخذ يدير شئون العراق وجه عنايته نحو المنتفق وشيخه يومئذ منصور باشا فأسره حسن سيرته واقتداره واطمأن خاطر الوالي بعلو همة منصور باشا. ثم لاحظ صحة الجنود المرابطة في (سوق الشيوخ) فرآها

---

(1) وإن تلك القلعة مشهورة عند المنتفق (بقلعة صالح) أنشأها على الهور الغدير أمام ساحل الغبيشية وهي باقية إلى اليوم. ومحيط بها عشائر بني أسد ربع سالم بن حسن بن خيون. وهي غير (قلعة صالح) الواقعة جنوب العمارة. ا هـ مؤلف.

غير جيدة لرداءة الهواء والماء. فأمر بسحب الجنود من سوق الشيوخ. وأعاد الحكم لرئيس المنتفق (منصور باشا) ففي الظاهر يعد سحب الجنود إكراماً للمنتفق وفي الباطن هو خوف على صحة الجنود فاستسر آل سعدون بذلك وشكروا همة الوالي فيما أسداه لهم من حسن الالتفات ومراعاة حقوقهم.

ثم إن الوالي تحصل من (الآستانة) لمنصور باشا على رتبة (قائمقام المنتفق) مع منحه أيضاً رتبة مدير الإسطبل العامر[1] ولقب (بيك) [2] وذلك في عام (1276هـ 1859م) وكان مركز الحكم سوق الشيوخ.

وفي سنة (1277هـ 1859م) جرت المزايدة في خراج المنتفق. بين منصور باشا والشيخ بندر. وفي 20 شوال عام (1277هـ 1859م) أحيلت إلى الشيخ بندر وأسندت إليه مشيخة المنتفق.

إمارة الشيخ بندر بن ناصر

تولى الشيخ بندر بن ناصر بن ثامر مشيخة المنتفق عام (1277هـ 1859م) وتعهد بدفع الخراج المقرر عليه لمدة ثلاث سنوات البالغ قدره (4900) كيس (والكيس يومئذ عبارة عن خمسماية قرش = خمس ليرات ذهباً عثمانياً) وذلك الضمان بعد أن أفرز من الأراضي أبو الخصيب وفي ضمنه (باب سليمان) وكذلك أفرز منها شطرة العمارة (التي ربما عبر عنها بقلعة صالح) ثم توجه الشيخ بندر من بغداد في 28 شوال عام (1277هـ 1859م) نحو مركزه تقله سفينة شراعية إلى سوق الشيوخ وبقي في المشيخة نحو ثلاث سنين إلى قبل وفاته بيوم واحد (وكانت وفاته في جمادى الآخرة عام 1280هـ 1862م).

وكان في أول السنة المذكورة قدم إلى بغداد منصور باشا وأخوه ناصر باشا. والشيخ بندر. فجمعهم والي بغداد محمد نامق باشا[3] وبعد المذاكرة معهم قرر إلغاء مشيخة المنتفق فوافقه على ذلك منصور باشا المذكور.

---

(1) مدير الإسطبل كانت رتبة للملكية السيفية تقابل اليوم رتبة قائم مقام العسكري. ا هـ مؤلف.

(2) سبق أن ذكر المؤلف أن منصور بن راشد تحصل على رتبة باشا، فكيف حصل بعد ذلك على لقب (بيك) وهو أقل من لقب باشا؟ ا هـ مصحح.

(3) محمد نامق باشا تولى على بغداد المرة الثانية عام (1777هـ 1859م) وأما تعيينه الأول فكان في سنة (1267هـ 1849م) ا هـ مؤلف..

تولية منصور باشا بن راشد المرة الثالثة

لما صادق منصور باشا على إلغاء مشيخة المنتفق. أسند الوالي إليه وظيفة قائمقام المنتفق في 30 جمادى الأولى عام (1280هـ 1862م) لكن بشرط أن تدار شئون اللواء بنظر الحكومة كما تدار بقية الألوية. وعين الوالي في الحال محاسباً للواء المنتفق (سليمان فائق بيك) وتوجه بالفعل إلى محل وظيفته.

ثم بارح منصور باشا بغداد متجهاً نحو مقره وبصحبته أخوه ناصر باشا وعندما وصلا إلى مقرهما عارض ناصر باشا في إلغاء المشيخة معارضة شديدة وشرع بتأسيس ثورة وتجاهر بها. فاضطر لذلك سليمان فائق بيك المحاسب المذكور لأن يغادر مركزه فاراً من البلدة بنفسه وتبعه بعض الموظفين بعد أن أقام في سوق الشيوخ نحو شهر وهو ينظم الدفاتر ويعين الخطط التي يجب اتباعها. فعزم الوالي محمد نامق باشا على محاربة المنتفق وإخضاعهم بالقوة. فبينما هو كذلك وإذا بورود برقية من الآستانة تأمره بأن يجهز الفيلق وينتظر الأوامر. فعند ذلك جنح إلى التساهل مع المنتفق واكتفى بعزل منصور باشا وتولية فهد بيك بن علي بدله.

مشيخة فهد بيك بن علي المرة الثانية

أخذ بزمام المشيخة فهد بيك بن علي بن ثامر سنة (1280هـ 1862م) وشرع في توطيد مد الأسلاك البرقية في أرجاء المنتفق قريباً من الفرات لتعهده للحكومة العثمانية بمدها، ثم رفعت مرتبته ومنحته (رتبة باشا) لما أبرزه من الخدمات لدي حكومته. وكان أول مفاوضة جرت بمد هذا الخط البرقي بين بغداد والبصرة في غرة رمضان عام (1281هـ 1863م) 28 ك2. واستقام فهد باشا في المشيخة إلى سنة (1283هـ 1865م) حيث تغلب عليها (ناصر باشا) وذلك أنه بعد انتهاء مدة الضمان تريث فهد باشا في المشيخة. فذهب ناصر باشا ابن رشد إلى البادية وجمع جموعاً من الأعراب ومشى بهم نحو فهد باشا وتواقع معه حتى تفوق عليه وانتزع المشيخة منه.

مشيخة ناصر باشا ابن راشد المرة الأولى
ثم تعيينه والياً على البصرة

أخذ ناصر باشا بن ثامر بزمام المشيخة وتفاوض مع الحكومة في ضمان المنتفق والمشيخة. فورده (مرسوم) يتضمن الاتفاق والشروط مكتوباً بالخط الديواني ومؤرخاً في 3 شعبان عام (1283هـ 1865م) وملخص عبارته مع الشروط هو (أنه) كانت مدة الالتزام ـ التعهد والضمان ـ في مقاطعات أراضي المنتفق قد انتهت وجب وضعها في المزايدة. لكن بعد إفراز بعض المقاطعات المجاورة للبصرة. وفي (الفياضي. والعامية. ويوسفان. وكوت إفرنجي. والكباسي الكبير. والكباسي الصغير. وجزيرة العين. والريان (وهو أمام جزيرة الصقر) والجبارات. وكتيبان والصفارية) مع توابع كل المعلومات لدى أهل المقاطعات. فقد تقرر ضمها إلى عهدة الشيخ ناصر باشا بمبلغ (4338875) قرشاً يدفع سنوياً لخزينة الحكومة في بغداد إلى مدة ثلاث سنوات اعتباراً من أول أيلول عام (1282هـ 1864م) إلى سلخ شهر آب من عام (1285هـ 1868م) وذلك بكفالة الشيخ راشد بن صالح بن ثامر السعدون (وظاهر بن منصور بن ثامر السعدون).

ولما استتب الأمر لناصر باشا عزم على الانتقال من بني عمه الذين كانوا يضادونه ويعاكسون ما يبرم من الأمور. فركبوا متن الحذر. وتحزبوا عليه ثم أغاروا عليه فكافحهم فتفوقوا عليه حتى ألجأوه إلى مغادرة مركزه. فتوجه إلى (الآستانة) ثم عاد منها بمأذونية خولت له مشيخة المنتفق. ثم ورد إليه مع بريد بغداد من الآستانة (مرسوم بالوزارة) في 10 ذو الحجة عام (1284هـ 1866م) وبتعيينه شيخاً رسمياً على المنتفق.

وذلك لما أبرزه من تلبية أمر الحكومة في مد الأسلاك البرقية في لواء المنتفق بعد انقطاعها مدة طويلة. وكانت رتبته قبل ذلك (مير ميران).

وفي سنة (1286هـ 1868م) أو (85هـ 67م) احتال ناصر باشا على قبض (عبد الكريم بن صفوق الجربا) حتى قبضه وأرسله بأمر الحكومة إلى الموصل حيث حوكم وصلب هناك لأمور حصلت منه ضد الدولة العثمانية وعينت في محله أخاه (فرحان باشا بن صفوق).

وفي سنة (1288هـ 1870م) لما زحفت الجنود العثمانية نحو الأحساء تحت قيادة (الفريق محمد نافذ باشا) صحب معه (منصور باشا وناصر باشا) ابني راشد بن ثامر السعدون. ومعهما فهد باشا بن علي ابن ثامر السعدون ومعهم جموعهم من عشائر المنتفق. فلما وصلوا (الأحساء) جرت بينهما المعركة المشهورة (بوقعة الخوير) وقد أبدى المنتفق فيها بسالة تذكر

وعين على الأحساء (بزيعاً بن عريعر) ولكن لم تطب بتحكيمه خواطر الأهالي.

وفي سنة (1292هـ 1784م) عينت الحكومة العثمانية ناصر باشا ابن راشد المذكور والياً على (البصرة) وفصلتها عن بغداد. وعقدت بها لواء نجد[1] وكان ذلك بهمة ناصر باشا نفسه كما في تاريخ البصرة (ص338).

وفي عام (1293هـ 1875م) لما ثار لواء الأحساء مرة ثانية. وكان والي بغداد (عاكف باشا) أنفذ أوامره إلى ناصر باشا بالمسير نحو الأحساء. لتقويم أود ذلك الخلل الحاصل هناك. فلبى طلبه وجهز الجنود مع معظم عشائر المنتفق وتقدر بنحو عشرة آلاف رجل وسار بالكل يقودها نحو الأحساء. فضرب العصاة وأدب الثائرين ثم عين على الأحساء (بزيعاً العريعر) ثم عزله وولى مكانه ابنه (مزيد بيك بن ناصر باشا) متصرفاً على لواء الأحساء لأنه رأى أن أهل الأحساء متحفزين على بزيع فخشي ناصر باشا من إعادة الثورة. فعين ابنه ونقل بزيعاً بن عريعر معه إلى البصرة لأن أخت بزيع المسماة (نجلة) كان متزوجها ناصر باشا وقد أعقب منها بنتاً سماها (طرفة) فتزوجها سليمان بيك بن منصور باشا بن راشد فولدت له عدة أولاد ستأتي أسماؤهم في ما بعد.

إمارة فالح بيك بن ناصر باشا

وكذلك عين ابنه الآخر فالحاً بيك متصرفاً في لواء المنتفق وجعل مقره (الناصرية) وذلك عام (1293هـ 1875م) ونصبه أيضاً شيخاً على عشائر المنتفق. وبذلك تقوى نفوذ ناصر باشا في العراق وهابه القريب والبعيد.

وكان وكيله على أملاكه الكائنة في البصرة من قبل ولايته على البصرة (الشيخ سليمان بن عبد الرزاق الزهير شيخ قصبة الزبير) وبعد أن تعين والياً على البصرة ظل الشيخ سليمان الزهير مستمراً على وكالته وشيخاً على الزبير. ثم إن الأعداء غاظهم ذلك فجعلوا يلقون العداوة والبغضاء بينهما إلى أن أمر ناصر باشا برفع يد الشيخ سليمان عن أملاكه. وطلب محاسبته وضيق عليه في ذلك. فتحاسب معه وتقرر بأن الباقي عند الشيخ سليمان مبلغ عظيم من النقود. فأعطاه قسماً منه نقداً وما بقي جعل

---

(1) المراد بلواء نجد الأحساء بملحقاتها فقط. ا هـ مؤلف.

نخيله رهناً فيه عند ناصر باشا وذهب الشيخ سليمان إلى (دائرة سجلات الأملاك بالبصرة) وأجرى معاملة الرهن باسم ناصر باشا رسمياً.

وكان لما حصل التضاغن بينهما أصدر ناصر باشا أمراً بعزل الشيخ سليمان الزهير عن مشيخة (الزبير) وعين بدله (عبد اللطيف بن محمد بن عون) وبعد انتهاء معاملة الرهن بارح البصرة الشيخ سليمان متجهاً نحو الهند ومنها إلى مكة المشرفة حيث أدى فريضة الحج. ثم عاد إلى البصرة مريضاً فتوفي بعد أيام قلائل في البصرة ودفن في مقبرة الزبير وذلك عام (1293هـ) ثم بعد وفاة الشيخ سليمان طلب ناصر باشا من قاسم باشا الزهير[1] فك الأملاك المرهونة فامتنع من ذلك فحصلت العداوة بينهما حتى عزم ناصر باشا على قبض قاسم باشا وسجنه. فبلغه الخبر سراً ففر

---

(1) إن سبب العداوة الحاصلة بين ناصر باشا وقاسم باشا الزهير. هو أنه لما عزل ناصر باشا الشيخ سليمان الزهير عن الوكالة وعن مشيخة الزبير وتحاسب معه وبقي. لناصر باشا مبلغ عظيم من الدراهم (كما في داخل الأصل) وكان الشيخ سليمان عازماً على مبارحة البصرة فأخر النقود عنده ورهن أملاكه في مقابلة الدين الذي عليه وذلك خشية من أن يتصرف في أملاكه صهره قاسم باشا أثناء غيابه لأن قاسماً باشا كان غاية في الكرم والسخاء ولطالما أخذ من الشيخ سليمان أموالاً عظيمة وفرقها في الكرم وإسداء المعروف. فاستحسن الشيخ سليمان بأن يؤخر بعض الدراهم التي استوفاها من واردات أملاك ناصر باشا ويرهن أملاك نفسه في مقابلة تلك الدراهم. لأمور (أولاً) حفظاً لأملاكه من يد متغلبة من قبل صهره أو من والي البصرة (ثانياً) أنه تحصل على مبلغ مهم من النقود (بدون رباً) ليستعين به على السفر وغيابه عن وطنه إلى أن يعود وإنها تستوفي تلك الدراهم من ريع أملاكه بدون تعب. ثم لما عاد الشيخ سليمان مريضاً وتوفي. وضع يده ابن خاله وصهره قاسم باشا الزهير على ثروته العظيمة. فبلغ ذلك ناصر باشا فطلب من قاسم باشا فك الرهن من الدراهم التي تحصل عليها من تركة الشيخ سليمان وإلا فيبيع الأملاك المرهونة. فامتنع قاسم باشا من فك الرهن وكذلك منع بيع النخيل المرهونة قائلاً: إنها تبقى تحت الرهن حسب الاتفاق إلى أن يسد ريعها ما على المتوفى الشيخ سليمان من الدين ثم تعاد للورثة. فحصل بذلك التشاحن والنزاع بينهما حتى اضطر قاسم باشا إلى الفرار من البصرة (كما في داخل الأصل) فتصرف ناصر باشا في الأملاك المرهونة عنده وقسمها هبة لأصدقائه وذويه. وهاك أسماء الأملاك المرهونة (الدعيجي. الشلامجة. الدرة. الطويلة. العجيراوية. كوت خلفة صالح. البدعة. والقاع التي وهبها ناصر باشا لمحمد بن عبد الله الشاعر ابن ربيعة) فأعطى (الدعيجي) لساسون بن دانيل اليهودي فما قبل الهبة إلا أن تسجل باسمه في (دائرة سجلات الأملاك) رسمياً فسجلها ناصر باشا له كما أراد. وبذلك فن ساسون هو الذي ربح من دون بقية الذين تحصلوا على العطايا والهبات شفاهياً. حيث إنه بعد عزله عن ولاية البصرة استرجعت تلك الأملاك منهم لكن بعد أن دفع ورثة آل زهير ما على أبيهم من الدين.

من البصرة كما في تاريخها (ص 339) وتوجه إلى الآستانة فعند ذلك أطلق ناصر باشا سراح المسجونين من أهل (حرمة)[1].

---

(1) أهل حرمة . هم عرب ظعنوا من نجد في القرن (12هـ 18م) زمن نهوض الوهابية واستوطنوا (قصبة الزبير) وغالبهم من سكان بلدتي (حرمة. وحريملة) فحرمة بلدة من توابع بلدة السدير بنجد. وحريملة من توابع بلدة الوشم. أما (وقعة حرمة) المشهورة فمجمل الأخبار: أنه في عام (1289هـ 1871م) حصل تضاغن بين أهل الزبير وشيخ بلدتهم الشيخ سليمان بن عبد الرزاق آل زهير حتى اضطر لمبارحة الزبير إلى البصرة إطفاء للشر وإخماد للفتن بعد أن جعل على البلدة من قبله ثلاثة أشخاص يديرون أمور البلدة يرأسهم (عبد الله بن حميدان) ولما استقر الشيخ سليمان في البصرة تجمهر أهل الزبير على مضادته وإخراج أهله من بلدتهم فجنح إلى ذلك (عبد الله بن إبراهيم آل راشد. من أهل حريملة) وتعهد بنفي نساء آل زهير إلى البصرة. ثم ذهب وأتى بدواب (إبل وحمير) إلى أمام بيوتهن وأمرهن بالخروج جبراً إلى البصرة فاضطررن إلى الخروج وتوجهن بحواشيهن إلى البصرة. إلا (ثريا بنت ناصر الفداغ زوجة قاسم باشا الزهير) فإنهم غضوا النظر عن إخراجها من البلدة لكرمها المتزايد وكثرة إسدائها المعروف لغالب أهل الزبير وظل أهل حرمة متحزبين في الزبير ضد كل من يلوذ بآل زهير فوافق أن قدم من (عدن) أحد التجار المدعو (فهد بن محمد آل راشد) وهو أيضاً من آل راشد أهل حريملة وكان وكيلاً في عدن لبعض تجار البصرة ومن جملتهم آل زهير. فلما رأى ابن عمه عبد الله بن إبراهيم الراشد منضماً إلى أهل حرمة ضد آل زهير لم يرض بذلك وسعى في الصلح بينهما حتى أتمه وتأكيداً للصلح أرسل الشيخ سليمان هدية من التمر لعبد الله المذكور من البصرة إلى الزبير محملة على الإبل إعلاناً بإتمام الصلح بينهما فأخذها عبد الله وقبلها وانسحب من حزب أهل حرمة وترك أنديتهم ومجتمعاتهم. فلما تأكد لديهم صلحه مع الشيخ سليمان خشوا منه لئلا يفسد أحداً من ربعه ممن كان منضماً لهم لاسيما وأن عبد الله ابن إبراهيم مشهور عندهم بالدهاء والشجاعة. فأصروا على اغتياله وأودعوا ذلك إلى (فراج بن زيد اللعبون) فذهب إليه ومعه (زيد بن شقير من بني حسين) وكان (فداوياً) أي يحمل السلاح خلف عبد اللطيف العون. فلاحظاه حتى تمكنا منه بعد صلاة العشاء وهو جالس في المسجد فأطلق زيد بن شقير عليه (قرنينة) بندقاً قصيرة واسعة الفوهة محشوة (رش) صغار الرصاص. وكان عند الإطلاق ألصق ملفظ البندق في ظهره فلم تقتله وإنما انغرس الرصاص في اللحم فقط وخر الرجل على الأرض مذعوراً. وهب المغتال ظناً بأنه انقتل فحمل جريحاً وأدخل في بيت محمد بن موسى بن فارس. ولم علم أهل حرمة بعدم موته تحازبوا وأتوا إلى بيت ابن فارس وأحاطوا به وطرقوا الباب ليلاً ليلجوا البيت ويتمموا على قتل عبد الله المذكور. فاحتال آل فارس على تهريبه من على ظهر أسطحة البيوت حتى أبعدوا به وأولجوا في بيت (عبد اله بين محطب).

ثم أركبوه من هناك دابة وأرسلوه مع أناس إلى البصرة في تلك الليلة حتى أدخلوه بيت الشيخ سليمان الزهير. فبادر الشيخ سليمان في الحال بجلب الأطباء فأجروا له عملية في إخراج شظايا الرصاص من لحمه فأمنت حياته وجعلت الأطباء تعالجه حتى برئ وبقي في البصرة. ثم أن أهل حرمة لما ولجوا بيت ابن فارس في تلك الليلة وفتشوه ولم يجدوا فيه غريمهم ذهبوا من حيث أتوا. ثم بعد ذلك تحقق لديهم بأن آل فارس هم الذين هربوه إلى البصرة فأجمعوا على نفي كل من يلوذ بآل زهير ولم ينضم إليهم وتحزبوا على ذلك وأخرجوا من الزبير كرهاً (آل

أضداد آل زهير

ولما وصل قاسم باشا إلى الآستانة شرح للدولة ما أجراه معه ناصر باشا من سوء المعاملة، ثم قدم عليه شكاية رسمية فاستقدمت الحكومة ناصر باشا بعد أن أصدرت أمراً بعزله عن ولاية البصرة وعزل ابنه فالح باشا. عن متصرفية لواء المنتفق وذلك عام (1294هـ 1876م) فتوجه

فارس. وآل نصار. وآل مشرى. وآل شماس. وآل مطلق) وكل من يلوذ بهؤلاء أو ينتمي لهم. بل أنهم أخرجوا أخيراً كل من لم ينضم إلى حزبهم فتبين للحكومة أن الخطأ حاصل من أهل حرمة حيث إنهم نفروا غالب الأهالي وأخرجوهم من ديارهم وهم غافلون. ثم أن أهل حرمة وجهوا من رؤسائهم إلى البصرة عبد اللطيف بن محمد بن عون وفوازاً بن زيد اللعبون أخو فراج الزيد ومعهما جملة من ربعهم بقصد أن يبرئوا أنفسهم عند الحكومة مما نقل عنهم من المؤامرات والفتن ويبينوا لها سبب تحزبهم وعند وصولهم البصرة وقبل ذهابهم إلى صرح الحكومة. ألقى القبض عليهم وسيقوا إلى السجن إلى أن يتحقق عن أمرهم.

ثم إن الحكومة أمرت جميع المنفيين من الزبير والفارين منه بالعودة إلى أماكنهم. فأفهموا الحكومة بأنهم يخشون على أنفسهم إذا عادوا منفردين إلى الزبير. فأرسلت معهم (صالحاً أغا طابور أغاسي) بصفته مديراً لقصبة الزبير فصحب معه جملة ممن يحملون السلاح من أهل البصرة. ومحلة السبخاء والمشراق. والسراجي. وقردلان. وكلهم تحت رئاسة الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف الزهير. وعبد الله بن إبراهيم آل راشد. ولما أقبلوا جميعاً على قصبة الزبير بادر أهلها بإطلاق الرصاص على القادمين بعد أن حصنوا البلدة وسدوا أبواب السور واستعدوا للحرب فقابلوهم بالمثل وتبادلوا إطلاق الرصاص بينهما ساعات بدون أن يتفوق أحد الفريقين على الآخر ثم أن (ثريا بنت ناصر الفداغ) المار ذكرها نهضت من داخل البلدة وأمرت أحد خدامها (بلالاً الريحان) بأن يجمع لها رجالاً من محبي آل زهير ويأتي بهم على بيتها مسلحين فأحضر لها نحو (300) مقاتل منهم جماعة من أهل (المجمعة) تحت رياسة زعيمهم عبد المحسن بن الشيخ إبراهيم العيقي. فأدخلتهم إلى أعلا سطح قصرها وكان مشرفاً على أهل السور المحافظين والمدافعين. وأمرتهم بإطلاق الرصاص عليهم فما شعروا إلا والرصاص يأتيهم من داخل البلدة فذعروا ولم يدروا ما حصل فتركوا السور واضطروا إلى الهزيمة والفرار. فذهب بلال الريحان إلى السور وفتح (باب البصرة) فدخل القادمون البلدة وجعلوا يتتبعون زعماء أهل حرمة في الشوارع فمن وجدوه قتلوه أو سجنوه فقتلوا (9) أشخاص منهم (جلوي من أهل حرمة) ومحارب السويد من أهل جلاجل (بلدة بنجد) وهو من قرابة إبراهيم المنديل (ومحمد المدلج) وهذا قتل خطأ لأنه من الأخيار وليس له تدخل في الثورة وإنما هو من أهل حرمة فقط. ولم ينهب في هذه الحادثة بيتاً ولا دكان بل ولم يتجاوز أحد على الأعراض ولا على مهاجمة الدور طلباً للفارين وكانت الحادثة في عام (1291هـ 1873م). ولما تولى ناصر باشا السعدون ولاية البصرة وحصلت العداوة بينه وبين آل زهير أطلق سراح السجناء من أهل حرمة (عبد اللطيف العون وربعه) كما في داخل الأصل وفي تاريخ البصرة (ص226) ت هـ مؤلف .

ناصر باشا إلى الآستانة وجرت بينه وبين قاسم باشا محاكمات متنوعة لا حاجة لذكرها، وبقي ناصر باشا في الآستانة إلى أن توفي بها سنة (1301هـ 1883م) كما في تاريخ البصرة (ص 339) وكان له من الأبناء (فالح باشا. مزيد باشا. مزعل باشا. مصلط بيك). ولما عزل فالح باشا عن متصرفية المنتفق تعين في محله فهد باشا.

إمارة فهد باشا ابن علي المرة الثالثة

تعين فهد باشا ابن علي السعدون على متصرفية لواء المنتفق سنة (1294هـ 1876م) فأحسن السيرة في الرعية وأمن السبل حتى أحبته الرعية وجعل يعامل الناس بحسن السيرة العدالة. وقد رفع المظالم وأجرى أمور الشرع الشريف. وظل في الحكم إلى سنة (1296هـ 1878م) حيث انفصل عنها، ولم يعد إليها وكان له من الولد (12) ابناً ـ ضيدان بيك، ظاهر بيك، وعبد الرزاق بيك، وعبد الكريم بيك، وحامد بيك، وعبد العزيز بيك، وعبد المحسن باشا[1] وعبد الهادي بيك، وعبد المجيد بيك، وسعدون بيك، ومحمد بيك. وعبد الرحمن بيك.

الفريق أحمد باشا

فتعين الفريق أحمد باشا[2] الملقب (بأبي دبوس وكيلاً على لواء المنتفق سنة (1296هـ 1878م) فأدار شئونه وبقي وكيلاً إلى سنة (1297هـ 1879م) حيث ضمن فالح باشا خراج المنتفق كما سيأتي.

فالح باشا ابن ناصر باشا المرة الثانية

(1) عبد المحسن باشا صار رئيس الوزراء في الحكومة العراقية سنة ثم بعد استعفائه من منصبه الأول صار رئيس مجلس النواب عام (1345هـ 1926م) ثم تعين رئيساً لمجلس الأعيان في 7 جمادى الأولى عام 1346هـ = 1 . 11 . 1927م ثم (أعيدت له رئاسة الوزراء) ببغداد مرة ثانية في 18 رجب عام 1346هـ 10 . 1 . 1928م ثم انتحر في بغداد في 12 جمادى الآخرة عام (1348هـ 1929م) وهو في منصبه لأمور سياسية. ا هـ مؤلف.

(2) أحمد باشا هو من البيكات أهل السليمانية أخو عبد الله باشا المتولي على البصرة عام (1295هـ 1877م) كما في تاريخها (ص 340). ا هـ مؤلف.

وفي سنة (1297هـ 1879م) ضمن خراج المنتفق فالح باشا بمبلغ مقرر يدفعه سنوياً للحكومة العثمانية وأخذ بزمام الحكم فيه وجعل يدير شئون اللواء حسبما يرام، وكان للمنتفق موضع مخصوص لبيادر الحبوب يسمى (المنثر) يبعد عن النهر بنحو (15) ميلاً، فأمر فالح باشا ربعه وجميع التجار ورؤساء القبائل بتحويل بيادرهم إلى قرب النهر ليسهل نقل الحبوب من طريق النهر، فامتثلوا أمره ونقلوا بيادرهم إلى الموضع الذي خطة لهم وهم المسمى اليوم (شطرة المنتفق) وذلك عام (1298هـ 1880م).

وفي مدته نهبت (عشيرة مياح) باخرة نهرية تتردد بين البصرة وبغداد، وهي (ملك لبيت لنج ـ شركة الملاحة الإنكليزية) التي أسسها في البصرة (لنج) سنة (1278هـ 1860م) فبلغ مديرها السفارة الإنكليزية بواسطة المعتمد البريطاني، فتذاكرت مع الحكومة في تلك القضية فأصدرت الحكومة أمرها إلى ناصر باشا السعدون المقيم يومئذ في الآستانة بأن يرسل إلى من يعتمد عليه في العراق بالقيام لإرجاع المنهوب، فأرسل ناصر باشا بذلك إلى ابنه فالح باشا[1] وهو كلف بها ابن عمه (سعدون بيك بن منصور باشا) فذهب سعدون بيك إلى عشيرة مياح وأجبرها بإرجاع جميع ما سلبته وأقنعها بحسن عبارته بعد أن هددها ببطش الحكومة إذا غضبت فأسلمته المنهوبات فأخذها وأعادها إلى (بيت لنج) فأرسل باشا بالخبر إلى والده، وهو رفعه للحكومة فاستسرت بذلك وكافأت سعدون بيك برتبة (باشا) وأمير الأمراء وذلك سنة (1297هـ 1879م) فدعي سعدون باشا من يومئذ.

إجلاء آل سعدون من أراضيهم

وفي أواخر عام (1298هـ 1880م) أصدرت الحكومة أمرها إلى (تقي الدين باشا) والي بغداد. بأن يجلي آل سعدون ومن تبعهم من أراضيهم وذلك بسبب ما يجريه كل شخص منهم في جهته مما يخالف دعائم الأمن والراحة، فصدع الوالي بالأمر ووجه الجنود نحو المنتفق تحت قيادة (عزت باشا) وأصحب معه جملة من الأعراب. والتقى بآل سعدون عند (نهر محيرقة) شمال الحي، ودارت رحى القتال بين الفريقين وجرت بينهما

---

(1) أعقب فالح باشا (6) أبناء: عبد الكريم بيك. عبد الله بيك. عقيل بيك. عبد الرزاق بيك. عبد العزيز بيك. عبد اللطيف بيك. ا هـ مؤلف.

معركة دموية تسمى (حرب الريس) اضطر فيها آل سعدون للتقهقر والظعن من أماكنهم حتى أوغلوا في (بر الشامية) غربي العراق. فعادت الجنود إلى مقرها، وكان قد أبلى في هذه الحرب سعدون باشا بلاء حسناً وأظهر فيها من الشجاعة والفروسية ما أبهر العقول مع صغر سنه يومئذ بحضور والده منصور باشا، ومكث المنتفق في بر الشامية نحو شهرين، ثم إن أضدادهم جعلوا يحركون عليهم (الأمير ابن رشيد) ويطمعونه في غزوهم بعد أن أفهموه بأن لدى آل سعدون نقوداً وأموالاً جمة سهلة السلب. فلما علموا بتحفز الأمير ابن رشيد عليهم ظعنوا من موضعهم وعبروا الشط إلى (الحويزة) حيث نزلوا بجوار (الشيخ مزعل ابن جابر ابن مرداو) حاكم (خوزستان) ملتجئين إليه فأكرم نزلهم وظلوا هناك نحو سنتين[1] ثم أذنت الحكومة العثمانية لهم بالعود إلى الشامية بشرط أن يستقروا فيها وأن ليس لهم حق إنشاء إمارتهم السابقة وإعادتها كما كانت. فرضوا بذلك وانتقلوا من الحويزة إلى الشامية واستوطنوها وذلك عام (1300هـ 1882م) وظلوا هادئين بدون رئيس أو أمير معين يرأسهم.

ثم في عام (1304هـ 1886م) توفي منصور باشا بن راشد في بغداد ودفن بجوار (ضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني) وكان قد أعقب (11) أبناً وهم: سليمان بيك[2]، عبد الله بيك، فرحان بيك، فهد بيك، سعود بيك. سعدون باشا. عمر بيك[3]. حامد بيك. عبد الرحمن بيك. عبد الرزاق بيك. عبد العزيز بيك.

ثم إن سعدون باشا اشرأبت نفسه للرياسة فسعى في أسبابها وجعل يغير ويغزو حتى تريس في الأعراب كما سيأتي.

قيام سعدون باشا

---

(1) وفي أثناء عبورهم ولد في الزورق يوسف بن عبد الله بيك ابن منصور باشا فلقب (حويمي) تصغير حامي لشدة انحدار الماء زمن الربيع فيقولون (ماء حامي) على اصطلاحهم أي شديد الانحدار. وولد عجمي باشا ابن سعدون باشا ابن منصور باشا في الحويزة سنة (1299هـ) فسمي (عجيمي) بالتصغير لولادته في ارض العجم.

(2) سليمان بيك: أبناؤه: عقيل. علي: محمد. سلطان. عبد العالي. عبد العزيز. الحاج عبد الرزاق. ناصر. ثامر. عبد المجيد. عبد المحسن. وقد أعقب علي (فهد بيك ابن علي بن سليمان الذي أعقب شبلي بيك. وهو أعقب محمداً ومحموداً). ا هـ مؤلف.

(3) عمر بيك أبناؤه: حمود. عبد العزيز. فحل. مسير. عبد الله. محمد: ا هـ مؤلف.

لما عاد المنتفق من الحويزة إلى الشامية سنة (1300هـ 1882م) وكان في ضمنهم سعدون باشا بن منصور باشا بن راشد فنزل هو في موضع يقال له (شط الكار) وهو متوسط بين الناصرية. والشطرة والسماوة. وشرع يشتغل بالزراعة في ملك له هناك لكنه جعل يكاتب بعض رؤساء، العرب في أمور سياسية ويظهر لهم اقتداره وسطوته ويتحفز للغزو فهابته عشائر (البدير) وخشوا من أن تسري عليهم سطوته فجعلوا يحركون عليه بعض عشائر العراق ويغرونهم على غزوة ويلقون العداوة والبغضاء بينهما. حتى ثارت عليه بعض العشائر وحصل بينه وبينهم عدة معارك تفوق فيها سعدون باشا أخيراً. واغتصب قسماً من أراضيهم وبنى فيها (مخافر) كالقلاع الصغار. ووضع فيها أناساً من قبله وأمرهم بزرع تلك الأراضي. وله جعل مقرر من ريعها. وبقي على تلك الحالة مدة وهو يظهر قوته وتحفزه على كل من يعارضه أو يعارض من لجأ إليه.

ثم إنه حصل من بعض العشائر القاطنة في داخل (الجزيرة عصيان على الحكومة العثمانية وامتنعوا عن دفع الخراج المعتاد. فأصدرت الحكومة أمرها إلى (سعدون باشا) بأن يجمع الخراج (الزكاة) من تلك العشائر فلبى طلبها وسار إليهم بجموعه وأرغمهم بدفع جميع ما فرض عليهم من الخراج ومهد الأمور للحكومة العثمانية.

وبعد ذلك جعلت الحكومة تستوفي (الضرائب) جميعها بنفسها بواسطة بعض (الموظفين) ينتقلون من عشيرة إلى أخرى ومعهم قسم من الجنود للمحافظة وإظهاراً للقوة.

ثم بعد مدة رجعت العشائر إلى العصيان مرة ثانية وامتنعت من أداء الزكاة. فساقت الحكومة نحوها الجنود من بغداد تحت قيادة (حميد باشا) فمشى بالقوة وأتى إلى مكان العصاة وأدب قسماً منهم ولكنه لم يتمكن من إتمام ما بدأ حسبما يرام. فأرسل إلى سعدون باشا يأمره بإرغام بقية العشائر العاصية على الرضوخ لأوامر الدولة فامتنع سعدون باشا من تنفيذ أوامر القائد لأنه أتى في قوله من باب الأمر لا من باب المساعدة والالتماس. لأن سعدون باشا كان يرى نفسه يومئذ هو الحاكم والأمير المطلق في لواء المنتفق ويود أن لو أرسلت الحكومة إليه رسمياً (بجلب الزكاة) ليمتاز فضله واقتداره أمام العشائر. ولما امتنع من تنفيذ أوامر (الوالي) حصل بينهما جدال أدى إلى التباغض وجعل كل واحد منهما يكتب إلى الدولة سوء سلوك صاحبه.

ثم إن سعدون باشا أدرك من قرائن الأحوال بأن (حميد باشا) أفهم الدولة (بأن سبب عصيان العشائر هو ناشئ من تحريكات سعدون باشا) ولما ترجح لديه ما خالج ضميره ظعن من محله متباعداً عن تلك العشائر لئلا ينسب إليه شيء من التهم ونزل في الشامية لعله سنة (1316هـ 1898م) وجعل مقره في الموضع المسمى[1] (شقرا) وأنشأ فيها قصراً مشيداً ثم سكنه فازدادت أهمية سعدون باشا لدى العشائر وهابته فخضعت له غالب الأعراب من حدود (النجف) إلى حدود (الكويت) وفرض على الرعاة وبعض العشائر (خراجاً) يستوفيه منهم جبراً. ثم بعد يسير من الزمن جعلت العشائر الرحل تؤدي له الزكاة طائعة بنفسها خوفاً من غاراته المتوالية وتأميناً لها من غزوات بعض عشائر المنتفق (لأنهم إذا انتسبوا إليه يكفون عنهم) ثم لما استفحل أمر سعدون باشا صار يشن الغارات في شمال داخل جزيرة العرب على حدود عشائر (سورية) إلى أطراف نجد جنوباً. فنشأت له سطوة وهيبة عظمى بين الأعراب. فغاظ ذلك (الأمير ابن رشيد) لتفوقه على غالب العشائر التي كانت خاضعة لآل رشيد لاسيما وأن الأمير ابن رشيد كان هو (الآمر والناهي) في داخل الجزيرة وله مرتبة عظمى عند الدولة العثمانية. ولما رأى المزاحمة لم تزل تنمو من جهة سعدون باشا مشى عليه بجموعه الشمَّرية ليكسر شوكته ويضعف قوته وحصلت بينهما (وقعة الخميسية. ثم وقعة تليل جبارة) كما سيأتي.

وقعة الخميسية

وقعة تليل جبارة

ففي سنة (1317هـ 1899م) زحف الأمير عبد العزيز ابن متعب الرشيد نحو سعدون باشا وهاجمه عند (تل اللحم) وجرت بينهما معركة دموية انكسر فيها سعدون باشا واحتل ابن رشيد منه (بلدة الخميسية) واستقام بها بضعة أيام. وفي تلك المدة جعل سعدون باشا يلم شعث قومه ويؤلف فلول ربعه حتى تم له الأمر كما أراد فمشى بالعشائر والأعراب نحو الخميسية حتى نزل الموضع المسمى (تليل جبارة) فبرز له الأمير ابن رشيد هناك ودارت بينهما رحى القتال ثلاثة أيام والحرب بينهما سجال ثم حمل المنتفق حملة رجل واحد فأسفرت بفوز سعدون باشا واسترجاعه الخميسية. فاضطر الأمير ابن رشيد لمبارحة تلك الأصقاع. وتسمى هاتان

(1) شقرا. هي غير شقرا التي في داخل نجد. ا هـ مؤلف.

الوقعتان الأولى منهما (وقعة الخميسية) والثانية (وقعة تليل جبارة) وذلك عام (1317هـ 1899م).

وجعلت جموع سعدون باشا تطارد عشائر شمَّر حتى أبعدوهم إلى أطراف (السماوة) وبعد استقرار سعدون باشا اتفق مع رؤساء عشائره على تعقيب عشائر شمَّر حيثما يجدوهم يضربوهم (من حدود النجف إلى أطراف الكويت) حتى منعوهم من مسابلة أطراف العراق. ومن يومئذ نشأت العداوة بين آل سعدون وآل رشيد.

وقعة الطرفية أو حرب الصريف

وفي عام (1318هـ 1900م) لما زحالشيخ مبارك آل صباح بجموعه نحو الشمال قاصداً (الأمير عبد العزيز الرشيد) استنجد بسعدون باشا فأقبل إليه بعشائر المنتفق. وكان قبل ممشاه أرسل إليه الأمير ابن رشيد رسولاً وهو (سالم بن حمود الرشيد) يطلب منه البقاء على الحياد. فلم يرض سعدون باشا بذلك بل رفض الحياد وصمم على الحرب بجانب آل صباح. لأنه كان قد عقد اتفاقاً بالصداقة والوداد مع آل صباح وآل سعود. فما أمكنه نقض الاتفاق.ولما التقى الجمعان عند الموضع المسمى (الطرفية) وتقاتلا قتالاً شديداً أسفر عن انكسار آل صباح وتمزق جموعهم. وقد قتل في هذه المعركة عبد الله بن منصور آل سعدون وابنه حمود.

ثم في سنة (1319هـ 1901م) سعى السياسيون أهل الصلاح بين الأميرين بالصلح حتى تم بينهما. ثم بعد ذلك سعى الأمير ابن رشيد في الطلب من الحكومة العثمانية بأن تجري معاشاً شهرياً لسعدون باشا فوافقت على ذلك وأجرت له (راتباً شهرياً) فجعل سعدون باشا يتقاضاه من تلك السنة إلى أن توفي.

الحوادث الحاصلة في مدة إمارة سعدون باشا

وفي سنة (1321هـ 1903م) عبر سعدون باشا إلى (الجزيرة) من عند مقاطعة (الفريحي) شمال الناصرية على مسافة (3) أميال منها. بقصد الاطلاع على أملاك له في قضاء (الحي) في مقاطعة عقيل ليصلح بعض جداولها. فهابته الحكومة وأرسلت تتذاكر معه في سبب عبوره فأفاد بأن ليس له مقصد سوى تصليح بعض جداول أملاكه. ثم سار مستقيماً في طريقه حتى وصل أطراف الشطرة. فلما بلغه هناك بأن الأهالي تشوشت

من مجيئه وشوشت أفكار الحكومة أعرض عن المسير إلى أملاكه وأرسل أناساً من قبله يأتونه بريع أملاكه مع قسم من الضأن ولما عادت الرسل بما طلب عارضتهم في الطريق فخيذة من عشيرة (عبودة) وسلبتهم جميع ما جاءوا به. وكان سعدون باشا نازلاً في موضع يقال له: (الحمزة) فأرسل كاتبه (السيد عبد المجيد بن السيد محمد الكردي) إلى مركز الحكومة في الشطرة يخبرها بما حصل من عشيرة عبودة ويطلب إرغامها على إرجاع ما نهبته. فوجهت الحكومة بعض رجالها لإعادة المنهوبات فجاءوا بها إلى (صرح) الحكومة فثارت عشيرة عبودة ثورة عامة على سعدون باشا وجعلت تنشر أعلامها وتمر من وسط البلدة كل فرقة تحت لوائها. ولما شاهد السيد عبد المجيد كاتب سعدون باشا المذكور تحزبات تلك العشيرة امتنع من استلام المنهوبات عند الحكومة وأخبر رئيسه باستحصالها ولكنه خشي من استلامها لئلا تغتصبها منه عشيرة عبودة عند عودته إلى سعدون باشا.

ولم علم سعدون باشا بأن تلك العشيرة قد أفهمت الحكومة عنه خلال الواقع وحركتها عليه. أعرض عن المسير إلى الجهة التي كان قاصدها إكراماً للحكومة. وعاد على طريق آخر وعبر الشط إلى جهة (البدعة) بقصد التغريب إلى أراضيه. وسرى ليلته حتى الزوال من الغد ثم نزل فخيم في (غسال) موضع يبعد نحو (10) أميال عن الشطرة بقصد الاستراحة وتناول الطعام ثم يرتحل.

فاغتنمت عشيرة عبودة تلك الفرصة وأفهمت (محمد زلام أفندي) الذي كان وكيل (الطابور) والموزع العسكري بأن نزول سعدون باشا في ذلك المحل لمكيدة. فساق (محمد زلام) نحوه جانباً من العساكر وعبر بها مع العشائر إلى تلك الجهة فما شعر سعدون باشا إلا بعشائر عبودة تطلق عليه الرصاص مع الجنود وهو غافل. فجاوبها بالمثل فانهزمت العشائر تاركة الجنود هدفاً في ميدان الوغى فسحقها رصاص سعدون باشا وكان عددهم (160) نفراً مع الضباط يقودهم محمد زلام فقتل هو وإياهم ولم ينج منهم سوى خمسة أشخاص فقط.

ثم بعد ذلك ارتحل سعدون باشا من ذلك المحل ونزل عند (صدر البدع) قريباً من الشطرة على مسافة نحو ميل منها (ليظهر الثبات

والشجاعة لأن قلطاه[1] أفهموه بأن ارتحاله وتبعده من تلك الجهة بسرعة يعد جبناً منه فتسقط هيبته بين العرب) فخيم هناك بقصد أن يتتبع رؤساء عشائر عبودة التي حركت الحكومة عليه حتى اضطر لمقاتلة جنود دولته. فأوجست أهالي الشطرة خيفة في نفسها فبعثت إليه جماعة من أشراف البلدة وأعيانها مع قسم من رجال الحكومة وساروا نحو سعدون باشا يلتمسون منه العفو والأمان على البلدة وأهلها وأن الذي جرى ليس برضائهم ولا باختيارهم فأجاب طلبهم وأمن روعهم واعتذر لهم بأنه لم يقصد حرباً ولكن لما تجاسرت الأعراب عليه ضربها مدافعة عن نفسه وكان في ضمنهم العساكر فأصابها رصاص بنادقه عن غير قصد منه. ثم ارتحل من محله إكراماً لهم متجهاً نحو شط الفرات بقصد العبور إلى الشامية وأمسى على حافة الفرات فبات هناك.

وكان لما بلغ الحكومة قتل عساكرها أمام سعدون باشا أرسلت خلفه جنوداً أخرى تحت قيادة (محمد فاضل باشا الداغستاني) فعبر الفرات حتى أدرك سعدون باشا وهو نازل على (مشرعة النقيب) في مقاطعة (القطيعة) فأمر الجنود بإطلاق الرصاص عليه وكان في الجانب الآخر من الشط. فما جاوبها سعدون باشا تأنياً منه في تلك الليلة وعند الصباح عبر هو وقومه إلى بر الشامية (أراضيه) فعادت العساكر مع قائدها إلى مقرها.

ثم إن سعدون باشا تأهب لمقاومة دولته ونقل عائلته وحواشيه وظعن بهم من الشامية ميمماً الجنوب حتى أنزلهم في (فنيطيس) جنوب الكويت وأمرهم بالمكث هناك. ثم قفل راجعاً بقومه نحو العراق وصار يشن الغارات على ولاية البصرة حتى تقرب من القرى والنواحي المجاورة لمدينة البصرة بل إنه سلب ذات مرة إبلاً محملة أثاثاً من البصرة إلى الزبير لآل منديل. وكذلك سار بنفسه مع قسم من أعرابه إلى ناحية البطيحة وأوقد في بيوتها النار فأحرقها. ثم عرج إلى الناصرية فأغار على أطرافها. واستمر على العيث في نواحي البصرة والناصرية مدة. فأرسلت الحكومة العثمانية نحوه جنوداً مرة ثالثة لتعقبه تحت قيادة (محمد فاضل باشا الداغستاني) أيضاً في سنة (1322هـ 1904م) وكان مع الجنود قسم من العشائر تحت رياسة ابني عمه (فالح باشا ومزعل باشا ابني ناصر باشا ابن راشد السعدون) وخرج الكل في طلبه حتى خيموا قرب البصرة في موضع يقال له (ديم خزام) غربي الزبير على مسافة نصف ميل. ثم ذهبت الطلائع

---

(1) المراد بهذه الكلمة: خلصاءه وكبار قومه. والله أعلم. ا هـ مصحح.

تستكشف مقره فلم تعثر له على أثر لأنه كان متنقلاً في البراري. ولما لم تجد له مقراً ولا موضعاً معيناً رجعت الجنود مع العشائر من حيث أتت. وبعد عودة فالح باشا إلى مقره مدحه (ظاهر أبو ذراع) رئيس قبيلة الصمدة (من الضفير) بقصيدة نبطية حثه فيها على التريس على المنتفق وجاء فيها:

ديرتك تو ما تفتحت بيبانها   هميلتك جتك تخط برسانها

سفينتك تفلشت تنخاك يا سكانها[1].

فلما بلغ سعدون باشا ذلك أجابهم بقصيدة مخاطباً بها محمد فاضل باشا ومطلعها:

من البصرة الفيحا وشمال   بيدي أسعرت نيرانها

يا باشا لابتي أللي معك   افهم تراني حصانها[2]

وظل سعدون باشا مستمراً على العبث في أطراف العراق إلى أن جاءه من السلطان عبد الحميد الثاني (العفو السلطاني) في أواخر عام (1322هـ 1904م) فأمن جانبه وهدأ من الفتن وأعاد أهله وعائلته إلى مقره في الشامية وإن الساعي بالصلح بين سعدون باشا والدولة العثمانية هو الأمير عبد العزيز الرشيد. وذلك لأن سعدون باشا لما ضاقت عليه المسالك وقلت وارداته أرسل إلى الأمير ابن رشيد قائلاً له: (إنه لم يبق عندي إلا الخف والحافر. فإما أن تسعى بالصلح بيني وبين الدولة العثمانية. وإلا وطئت أرضك بما عندي من القوة وطأة متهالك ولا لوم عليَّ في ذلك فقد أنذرتك) فدفعاً للشر سعى الأمير ابن رشيد في المذاكرة مع الدولة لما يعلمه من شجاعة سعدون باشا وبسالة أنجاله. إلى أن صدر العفو عنه وأجرى له الراتب الشهري.

ثم في صيف تلك السنة (1322هـ نزل في مقاطعة (الصخرية) متوسطاً بين عشائر (الحسينات والغزي) فأساءت نزله وتجرأت عليه استخفافاً به فضربهم ضربة شعواء حتى أخضعهم لأوامره فهابته جميع الأعراب وعلمت بأنه لا يزال ذا قوة واقتدار.

---

(1) هميلتك أي فرسك. تفلشت بمعنى تهدمت وتفككت أوصالها.

(2) لابتي أي بني عمي لأن اللابة مأخوذة من قولهم حسب لباب أي خالص. ا هـ مؤلف.

كرم سعدون باشا ونشوء عداوته مع آل صباح

كان في أواخر سنة (1322هـ 1904م) حصل في نجد جدب ومحل فانحدرت بعض العشائر إلى السواحل وإلى مدن العراق لتكتال منها وكان من جملة من انحدر إلى العراق قسم من عشائر شمر تقلهم نحو (1500) بعير يرأسهم (ابن سعيد) أحد زعماء شمر وسار حتى نزل بقومه وافداً على سعدون باشا (عدوهم الألد) عام (1323هـ 1905م) وشكا له حال ما أصاب شمر من الضرر الحاصل من القحط وطلب منه (يوماً من عفو العرب) بمقدار ما يكتال هو وقومه. فرق قلب سعدون باشا ومنحهم العفو وسمح لهم بالذهاب إلى (الخميسية) والاكتيال منها شراء بدراهمهم (وإنما العفو كان تكرماً وشهامة وإلا فيمكنه الانتقام منهم) وأصحب معهم رجلين من قومه وهما (مسعد بن عون من عشيرة الفضول. وفرحان البلبوص من عشيرة بني ركاب) لتعليم العشائر والأعراب بأنهم من دخلاء سعدون باشا. وبعد أن اكتالوا وخرجوا من الخميسية ووصلوا الموضع المسمى (دافنة) عارضتهم سرية من أعراب الكويت بأمر آل صباح يقودها (نافع بن ضويحي) مع جملة من عشيرته وأعرابه[1] وكان عدد السرية كلها نحو (800) خيال ونحو (1000) هجان فنهبت تلك القافلة الشمرية وسلبتها جميع ما لديها. فذهب (رسولا) سعدون باشا إلى ابن ضويحي وأخبراه بأن هذه القافلة هي في حماية سعدون باشا فلم يلتفت إلى قولهما فعكفا حالاً راجعين إلى سعدون باشا وأخبراه بما حصل فبادر سعدون باشا في استنفار قومه وذهب بهم في أثر السرية حتى أدركها عند أرض يقال لها (أرض الركي والردايف) وأطلق عليهم نيران بنادقه وعند اللقاء تقدم عجيمي باشا أمام جموع والده وهاجم البغاة وجعل يطاردهم حتى تمكن من أسر رئيسهم (نافع بن ضويحي) وأتى به على والده سعدون باشا فهم بقتله فتشفع فيه ابن أخيه الأكبر (سمير بيك بن عبد الله بيك ابن منصور باشا) فعفا عن قتله إكراماً لابن أخيه. كما وإننا لا ننسى فضل عجيمي باشا الذي كان هو الساعد الأعظم في تعضيد والده وإذاعة شهرته. حتى أرغمهم إلى التخلي عن المنهوبات بل تمكن من سلبهم نحو (300) ذلول وقسما مهماً من البنادق وعاد إلى مقره وأسلم القافلة إلى أهلها كما هي وأرسل معهم ابنه

---

(1) عشيرة آل ضويحي هي من الضفير ثم انفصلت عنها ونزلت بجوار آل صباح للأسباب المبينة في داخل الأصل. ا هـ مؤلف.

حمد بيك حتى أوصلهم مأمنهم. (ومن يومئذ نشأت العداوة بين آل صباح وآل سعدون) وانتفض الاتفاق المعقود بينهما.

أما سبب إغارة تلك السرية بأمر صباح على تلك العشيرة فهو أمران (أولاً) أن سعدون باشا أعطى تلك العشيرة الشمَّرية (الدخالة) بدون علم آل صباح لأنه كان قد عقد اتفاقاً مع آل صباح على مناوأة عشائر شمر ضداً في آل رشيد حكام حائل (ثانياً) إن عشيرة آل ضويحي لما كانت منضمة إلى الضفير وكلاهما تحت زعامة سعدون باشا فحصل بين آل ضويحي وآل سويط زعماء الضفير خاصة اختلاف شديد أدى إلى مشق الحسام فكان سعدون باشا معاضداً لآل سويط حتى تفرقوا وطردوا آل ضويحي من أراضيهم فلجأوا إلى آل صباح حكام الكويت واتفقوا معهم ضد آل سعدون فمن أجل ذا هاجموا العشيرة الملتجئة إلى سعدون باشا. ثم بعد وقعة (الركي والردايف) أرسل الشيخ مبارك الصباح من قبله (السيد خلف باشا النقيب) يعتذر إليه ويلتمس منه إرجاع الركاب المنهوبة من آل ضويحي وأعراب الكويت قائلاً: بأن الشيخ مبارك لم يكن عنده علم بأن تلك القافلة هي سائرة بدخالة سعدون باشا. فقبل المعذرة سعدون باشا وأعاد إليه ما سلبه شهامة وكرماً. ولكن الشيخ مبارك كان قد حقد على آل سعدون حتى شرع في أسباب إضعاف قوتهم المعنوية التي أغاظته بل ربما هددت مركزه لاستفحال أمر سعدون باشا يومئذ.

غزوة ثامر بيك على النوري بن شعلان ثم غزوة والده

وفي سنة (1326هـ 1908م) غزا ثامر بيك ابن سعدون باشا أعراب الشام قوم (النوري بن شعلان) شيخ قبيلة الرولة. فلم يتوفق فعاد من حيث أتى. فجمع والده الجموع وسار يقودها بنفسه سنة (1327هـ 1909م) نحو أعراب الشام للأخذ بثأر ابنه ثامر الذي كسروه في العام الماضي وغنموا منه مغانم كثيرة. فمر سعدون باشا أثناء سيره على عشائر (فهد بيك ابن عبد المحسن الهذال. وفهد بن دغيم الهذال) فرَّحبَا به هما ورؤساء قومهما ولم يظهر له منهما خلاف أو علائم حقد فاطمأن خاطره. ثم لما بارحهما متجهاً نحو (النوري بن شعلان) تغير فكرهما وعزما على (قطع خط الرجعة عليه) أو مهاجمته. وذلك لما رأوه من ثباته المتناهي فأمر بتجمع عشائر عنـزة زعيمهم يومئذ (فهد بيك[1] ابن عبد المحسن الهذال) فالتفت

---

(1) فهد بيك الهذال. كان قد انتخب مندوباً عن قبيلته في المجلس التأسيسي العراقي سنة (1347هـ 1924م).

حوله من عشائره. العمارات(1) والسبعة. والفدعان(2) والقمصة والدهامشة والصقور وانضم إليهم من عشائر العراق (كبشة. واليعاقيب. والغزالات والزياد) واتفق الكل على محاربته لأن تغاضيهم عنه ومروره على أرضهم لحرب (النوري) مما يحط بقدرهم فيصبحون مستضعفين بين الأعراب المجاورة لهم. كما وأن مرور سعدون باشا على أراضيهم يعد مساعدة له على جارهم (النوري بن شعلان) فتنشأ عداوة جديدة بينهما ويظلون في موقف حرج من الجانبين فلذا قرروا المشي خلف سعدون باشا.

وعندما هاجم سعدون باشا عشائر الشام وتواقع معهم لم يشعر إلا وعشائر عنـزة تهاجمه من الخلف فترك حرب (النوري) وعكف بقوة بأس ويأس على عشائر عنزة وجرت بينهما معركة عنيفة انهزم فيها سعدون باشا واضطر للتقهقر والرجوع إلى مقره في العراق مغلوباً.

وقد قتل في هذه المعركة (متعب بن فهد بيك الهذال) ومن عشائر الشام نحو (205) - وقتل من ربع آل سعدون (طعمة بن عبد العزيز الروضان الشبيبي) ونحو (70) شخصاً من عشائرهم الضفير.

وكان لما وصل سعدون باشا دياره مكسوراً بلغه وهو نازل بأرض يقال لها (الجريبعات) بأن الشيخ مبارك آل صباح والأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن السعود قادمان عليه بجموعهما لما بلغهما خبر انكساره أمام عرب الشام وعنزة فقد كانا يترقبانه. فبادرهما سعدون باشا بالمسير نحوهما حتى تصادم معهما وكسرهما في (وقعة هدية) كما سيأتي تفصيل ذلك.

سبب وقعة هدية

أسبابها متنوعة ومصادرها مختلفة ومعظم ما اتفقت عليه الأخبار. هو أن نجماً بن عبد الله السعدون انفلت منه طير (صقر) فبلغه بأن ذلك الطير اصطاده رجل من عشيرة (عريب دار) التابعة لآل صباح والنازلة عند (الجهرة) من قرى الكويت. فأرسل المذكور يطلب طيره من الشخص الذي اصطاده فأبى تسليمه وحصل بينه وبين الرسول مشاجرة أفضت إلى قتل الرسول. ثم ذهب القاتل والتجأ بالشيخ جابر بن مبارك الصباح فأجاره ضداً

---

(1) العمارات فخيذة من عنزة والزعامة فيهم في آل هذال. ومساكنهم ممتدة على شاطئ الفرات شمالاً عن (كربلا) إلى عانة وأبي كمال. وفي الأودية الكائنة غربي كربلا. وتقدر هذه الفخيذة بنحو (5000) خباء ومضرب وغالب مسابلتهم واكتيالهم من (الرزازة. وخان البغدادي. وشثاثاً. وكربلا).

(2) الفدعان فخيذة من عنزة أيضاً تتجول بين (حلب ودير الزور) على حافتي الفرات. ا هـ مؤلف.

في آل سعدون لأن العداوة ناشئة بينهما من سنة (1321هـ 1903م) كما تقدم.

ولما بلغ سعدون باشا خبر قتل الرسول جرد جموعه ومشى بها نحو عشيرة القاتل وأوقع بهم أخذاً للثأر وسلب منهم ما نالته يده وانصرف راجعاً نحو مقره وذلك في أواخر سنة (1327هـ 1909م) وعندما طرق مسمع الشيخ مبارك الصباح ما أجراه سعدون باشا أرسل يؤنبه ويطلب منه إرجاع ما سلبه من عشيرة (عريب دار) فجمع سعدون باشا شيئاً قليلاً من المنهوبات وأرجعه إلى الشيخ مبارك وأرسل يعتذر منه قائلاً بأنه لم يكن قاصداً بالفعل (عريب دار) في غزوته هذه وإنما عثر فيها من غير قصد أثناء سيره. فأوقع بها. وإنما كان قصده في الحقيقة فصيلة من عشائر مطير.

ثم عن سعدون باشا لم يكتف بالمكاتبة بل وجه أناساً من قبله إلى الكويت ليشرحوا شفاهياً للشيخ مبارك ما اعتذر به سعدون باشا ويطلبوا منه المصالحة وعدم الحقد والتضاغن. ولكن الشيخ مبارك كان قد أصر على حربه لانتصارات سعدون باشا المتوالية وثبات جأشه عند الهزيمة وهما من الأمور المهمة عند السياسيين فيخشى منه.

وبعد أن أرسل سعدون باشا رسله إلى الكويت توجه بجموعه لحرب (النوري بن شعلان) كما تقدم. ولما رجع مغلوباً إلى دياره وجد رسله عائدة من الكويت ومخبرة برفض الشيخ مبارك للصلح وأنه قادم نحو المنتفق بالجموع الكويتية.

وكان الأمير عبد العزيز السعود في تلك الأيام نازلاً على (الصمان) وهو اسم موضع يبعد عن الكويت بنحو (4) مراحل فحضر وقابل الشيخ مبارك وعرض عليه المساعدة واتفق معه على حرب المنتفق. ثم خرجت الجموع من الكويت تحت قيادة الشيخ جابر بن مبارك الصباح ومعه الأمير عبد العزيز السعود. ولما بعدا عن الكويت بمرحلتين اختلفا على القيادة العامة ووجهتها لأن الأمير عبد العزيز يريد الغزو بهذه الجموع المهمة نحو (الأمير ابن رشيد) الذي بهرته انتصاراته المتوالية على الأعراب وترفع شأنه عند الدولة العثمانية. فأصبح يخشى من هجماته على (القصيم) وغيره.

وأما الشيخ جابر الصباح فكان يقصد بتلك الجموع الجرارة الزحف نحو سعدون باشا الذي غزا (عريب دار) وخفر ذمة آل صباح. فلما تباينت

آراؤهما واختلفت مقاصدهما. اضطر إلى أن يكتبا إلى الشيخ مبارك بما حصل ويستشيراه في الأمر. فأجابهما بأن يكون ابنه جابر هو القائد العام لتلك الحملة وأن يسيرا معاً نحو المنتفق فامتثلا أمره وسارا نحو سعدون وجرت بين الفريقين وقعة هدية.

وقعة هدية أو حرب الطوال

وكان لما بلغ سعدون باشا قدوم آل صباح نحوه بعد عودته مكسوراً من الشام بادر في الحال بالمسير نحو الكويتيين قبل أن يَطأوا دياره ليفاجئهم على غرة وهم لا يشعرون (فنجح في خطته هذه) وسار بمن بقي من فلول جموعه وكان عددهم كما يأتي:

70 - من آل سعدون مع خدمهم وانضم لهم لفيف من الخثعم (الجشَعم) مع رئيسهم يومئذ (عبعوب بن ياسر الثويني).

260 - من السوالم (آل حميد) منهم 60 خيالة. و(200) مشاة يرأسهم زعيمهم (منيخر بن مرشد).

52 - من البدور 12 خيالة. و40 مشاة ورئيسهما ذياب بن شحم وعباس بن عشيش.

120 - من الضفير كلهم خيالة يرأسهم حمود بن نايف بن سلطان بن سويط.

502 - الجملة.

وكان مع الكل قسم من بني خالد يرأسهم (سلمان المنديل) ومن الصمدة (وهم فخيذة من الضفير) يرأسهم (ظاهر أبو ذراع) ومشى الكل حتى نزلوا أرضاً يقال لها (الجريبعات).

وأما جموع أهل الكويت الزاحفة للحرب فالحضر منهم تحت قيادة جابر بن مبارك الصباح. والبدو تحت رياسة (علي بن خليفة الصباح) وأهل نجد تحت قيادة زعيمهم (الأمير عبد العزيز السعود) فالتقى الجمعان في ربيع الأول عام (1328هـ 1910م) في أرض يقال لها (جريبعات الطوال) ودارت بينهما رحى القتال وحمى وطيس الحرب فلم تمض إلا ساعات من النهار حتى انهزمت الجموع الكويتية وأخذت بالفرار فاقتفتها فرسان المنتفق تثخن فيهم القتل حتى ألجأتهم إلى ترك الذخائر والأثقال مع

قسم مهم من الأنعام. فغنمها آل سعدون مع عشائرهم وسموا هذه المعركة (وقعة هدية) لكثرة ما غنموه من الكويتيين بغير أذية.

فيقال: إن حصة سعدون باشا من تلك الغنيمة (500) بعير وقد قتل من عشائر الكويت نحو (338) رجلاً وقيل: أكثر.

وقتل من ربع سعدون باشا خمسة. ومن الخثعم أربعة. ومن الضفير سبعة. ومن البدور اثنان. ومن (القلطة) ليل بن هتيمي المنديل. وأما الجرحى فكثيرون.

وكان قد أمر سعدون باشا أعرابه عند هزيمة أضدادهم بأن لا يقتلوا أسيراً ولا يحملوا على الجريح فامتثلوا أمره. ولما انتهت المعركة جمع سعدون باشا الأسرى وأرسلهم إلى الكويت بعد أن أكرمهم ورد لبعض أشخاص منهم سلبهم. وبهذه المكرمة نال سعدون باشا الثناء الجميل من القريب والبعيد. ثم من بعد هذه الواقعة عكفت غالب العشائر على سعدون باشا واتفقوا معه فتقوى مركزه.

فحنق لذلك (الشيخ مبارك الصباح) وجعل يستعد لحملة أخرى. وأرسل الأمير عبد العزيز السعود يطلب أمداداً من نجد ومن أهل القصيم ليؤلفا جموعاً قوية لا تقهر.

وأما سعدون باشا فكانت القوة متوفرة لديه لما ناله من تلك المغانم وهو ثمل بنشوة النصر والظفر الذي أحرزه وعلاوة على ذلك فقد جدد اتفاقه مع (الأمير ابن رشيد) على حرب كل مهاجم لهما.

وفي 20 رجب عام (1328هـ 1910م) أيضاً نزلت عشائر الضفير (الرميلة) وهو اسم موضع يبعد عن قصبة الزبير بنحو (30) ميلاً فهابهم آل صباح وخشوا من أن يهاجموا الكويت لتوفر عددهم. فأرسل حاكم الكويت الشيخ مبارك الصباح لهم سراً يستميلهم إليه ويطلبهم إلى الانضمام له والدخول تحت رايته ليكونوا معه ضد آل سعدون فأبوا من أن ينقضوا اتفاقهم مع سعدون باشا. فلما يئس من استمالتهم أوعز إلى أتباعه من قبيلتي (الرشايدة. والعوازم) المنبثين بين الزبير والكويت بأن يقطعوا الطرق على قوافل الضفير التي تسابل الزبير وتمتار منه فصدعوا بالأمر وجعلوا ينهبون ما تطرف من قوافل الضفير.

ولما رأى الضفير تتابع الغارات عليهم أرسلوا إلى سعدون باشا يستقدمونه ليغزو بهم على العشائر الموالية لآل صباح. فتوجه إليهم سعدون باشا بجموعه حتى نزل موضعاً يبعد عن الكويت بنحو (50) ميلاً.

(وعندما علم والي البصرة) حسين جلال بيك (بمسير سعدون باشا نحو الكويت كره سفك الدماء بين المسلمين واستصدر قراراً من مجلس (إدارة ولاية البصرة) بإرسال أحمد جلبي الصانع ومعه بعض الأعيان للإصلاح بين آل صباح وآل سعدون. فتوجه الوفد لذلك. وفي غرة عام (1329هـ 1911م) تم الصلح بين الطرفين على ما يرام. وفي 27 محرم من العام المذكور أرسل الشيخ مبارك الصباح صحبة الوفد كتابين أحدهما لوالي البصرة والآخر لسعدون باشا يتضمنان قبوله الصلح.

فكافأت الحكومة العثمانية أحمد جلبي برتبة (باشا) فدعي أحمد باشا الصانع[1].

وكان قبل إتمام الصلح حصل اختلاف بين الضفير وسعدون باشا أدى إلى سرعة قبول سعدون باشا الصلح مع آل صباح بدون شروط وذلك كما سيأتي.

---

(1) أحمد باشا بن عبد العزيز الصانع. هو الذي تعين متصرفاً على البصرة زمن الحكومة العراقية من 21 جمادى الأولى عام (1339هـ 1921م) 30 ك2. وبقي إلى 25 رجب عام 1345هـ 1927م 29 ك2 حيث تعين بدله علي جودة بيك متصرفاً على البصرة.

الخلاف الحاصل بين الضفير وسعدون وغدر الضفير به

سببه أنه في عام (1329هـ 1911م) لما نزل سعدون باشا في الموضع المسمى (الروضتين) مع عشائره، وكان معه غالب عشائر الضفير. ثم إن فخيذة منها ترفعت مع رئيسها (نافع الضويحي) إلى مسافة ستة أميال طلباً للكلأ حيث إنه حصل في تلك السنة (جدب وَمَحْلٌ) لقلة الأمطار فضعفت خيلهم وأنعامهم (وكان سعدون باشا لم يعلم سبب نجعهم) فأرسل في أثرهم ابنه (ثامر بيك) ليرجعهم. وعندما وصلهم بادر بإطلاق الرصاص على رعاة إبلهم فقابلوه بالمثل لأنهم لم يعرفوا بأنه سعدون باشا. فقتل من رجال ثامر (شخص ضفيري) فعكف راجعاً إلى أبيه وأخبره بما حصل. فجعل سعدون باشا بقبول الصلح مع آل صباح (قبل أن يشعروا بالقضية) فيشددوا عليه شروط الصلح لأن المذاكرة فيه كانت جارية بين الطرفين أثناء تلك المدة التي ذهب فيها ثامر بيك إلى الضفير. فتم الصلح بينهما عام (1329هـ 1911م) كما تقدم بواسطة والي البصرة كما في تاريخها (س335).

ثم إن سعدون باشا أرسل إلى حليفه (الأمير ابن رشيد) يخبره بما اقترفه (آل ضويحي) وطلب النجدة على الانتقام منهم وتأديبهم لتجرئهم على ابنه برمي الرصاص ولكونهم ألجأوه لقبول الصلح مع آل صباح بدون شروط مرضية خوفاً من فشو عصيانهم.

ثم ارتحل سعدون باشا من مخيمه مظهراً الرجوع نحو مقره. وجعل ينتجع في الأراضي المخصبة طالباً الكلأ لرتع الأنعام وفي الباطن هو يريد التقرب إلى أراضي ابن رشيد لموعد اتفقا عليه. فلما تقاربا، شعرت الضفير بوخامة الأمر وسوء العاقبة حيث إنهم أمسوا في موقف حرج بين الأميرين.

وفي الحال بادر زعيمهم حمود بن نايف بن سلطان بن سويط بالمسير نحو (الأمير ابن رشيد) وصحب معه نافعاً ابن ضويحي مع عدة من كبارهم (قلطاهم) وتواجهوا معه وطلبوا منه التوسط بالصلح بينهم وبين سعدون باشا، فأعاقهم عنده منتظراً قدوم سعدون باشا ولما وصل أخبره بما حصل ورغبه في الصلح فرضي سعدون باشا بذلك على شروط منها:

1 ـ أن يدفع الضفير له ثلاث سيوف مسميات قديمة.

2 ـ يدفعون له (130) رأساً من الخيل منها (30) من الأصائل.

3 ـ يدفعون له (2000) رأس من الإبل منها (200) ناقة من النجائب. فقبل الضفير تسليم ذلك (الودي) (1) فأرسل سعدون باشا بعض خدمه مع أناس من جهة الضفير يأتون بذلك الودي. ولما جيء به تنازل سعدون باشا عن قسم منه ورده على الضفير (إجلالاً للأمير ابن رشيد) وبعد ذلك أذن ابن الرشيد للضفير بالانصراف إلى مقرهم فنهضوا من مجلسه وبوادر الغضب لائحة على وجوههم.

ولما عزم الأميران على الرحيل كل منهما إلى مقره. انفرد (زامل السبهان وكيل الأمير ابن رشيد) مع سعدون باشا وأخبره بأن الضفير تلوح على وجوههم علائم الحقد والغدر. وربما إذا تباعدنا في المسير يستقلون جموعك فيحاربونك ويسترجعون منك جميع ما أدوه لك. وأنت مخير في أمرين:

1 ـ إما أن نصحبك حتى نوصلك مقرك.

2 ـ أو أننا نعيق رؤساء الضفير عندنا إلى أن تصل مأمنك ثم نخلي سبيلهم. فلم يوافق سعدون باشا على الأمرين. معتذراً بأن الأول يشعر بجبنه حيث احتاج إلى من يوصله إلى مقره. والثاني تأباه الشيمة العربية من أن يحبس رؤساء قومه بعد أن خضعوا له وأدوا ما فرضه عليهم.

ثم ارتحل الأميران كل يقصد ناحيته. ولما بعدا عن بعضهما بثلاث مراحل وأراد سعدون باشا النزول على الماء وجد الضفير مخيمين حوله. فأعرض عن النزول وسار مستمراً إلى المرحلة الرابعة فلما صبحها يريد الماء وجد الضفير قد أدلجوا ليلاً ووصلوا قبله وأحاطوا بالماء. فتأكدت خيانتهم لديه. فجد في السير قاصداً المرحلة الخامسة فعند وصوله الماء وجدهم عليه أيضاً. فاضطر إلى مكافحتهم فبرزوا له وتنازلا فتفوق الضفير عليه. لكثرة عددهم واستعدادهم لاسيما وقد انضم إليهم في تلك المعركة بعض عشائر (الزياد. وكبشة. واليعاقيب) وبعد معركة عنيفة تمكن الضفير من سلب جميع ما أدوه إلى سعدون باشا. وقتل في هذه المعركة (نجم بن عبد الله المنصور. وعبد المحسن بن فارس بن داود السعدون) وكانت هذه الواقعة في موضع يقال له: (جريبعات ضبع) في 22 ربيع الأول عام (1329هـ 1911م) وتسمى هذه الحادثة (غدر الضفير) ثم ذهب سعدون باشا مع قومه مخذولاً حتى نزل على مشرعة (الحماديات) من أرض

---

(1) أي: الدية يقال: ودى يدي ودياً ودية. ا هـ مصحح.

الشامية فالتفت عليه جميع عشائر المنتفق فاشتد عضده. وكان في أثناء تلك المدة قد نقضت قبيلة البدور العهد وذهبت بقيادة زعيمها (ذياب الشحم) إلى محاصرة قلعة سعدون باشا المسماة (المائعة) فأرسل سعدون باشا قسماً من عشائره تحت رياسة ابنه (عجيمي بيك) لرفع الحصار عن القلعة وإزاحة المحاصرين.

وكان في ذلك الوقت قد نهض (محمد بن براك العصيمي) الزبيري غيرة وحمية وكتب إلى سعدون باشا يشير عليه في إرسال ابن أخيه يوسف بيك ابن عبد الله بيك ابن منصور باشا السعدون إلى نواحي قصبة الزبير لينضم إلى عشيرة بني مالك ويرأسها لقطع طريق قوافل الضفير التي تسابل الزبير. فاستصوب سعدون باشا رأيه ووجه ابن أخيه إلى بني مالك فجمعهم وذهب بهم نحو الزبير وأغار على شرذمة من الضفير واقتطع منها ثمانية من الإبل فقاوموه مقاومة شديدة كاد أن يفشل فيها. ولما رأى يوسف بيك أن لا قبل له بإتمام ما بدأ به لجأ إلى (قصر خالد العون) في قرية الشعيبة قرب الزبير التي اتخذها محمد العصيمي مقاماً له وأعرض عن تلك الخطة مع الضفير. وكان في هذه المدة قد تمكن عجيمي بيك من تأديب قبيلة البدور ورفع الحصار في نواحي (المائعة) صيفاً وشتاء. ولم يكن لسعدون باشا في تلك الأصقاع سوى تلك القلعة. فكتبوا بينهم أوراقاً بما اتفقوا عليه (فيما إذا تمكنوا من اغتيال عجيمي بيك) وختمها رؤساؤهم فتمكن (السيد ياسر) من اختلاس مسودة تلك الأوراق وأتى بها إلى سعدون باشا فقرأها ثم أرسلها إلى ابنه عجيمي بيك ولما تلاها ركب متن الحذر وشرع في تدبير الانتقام منهم. فأتاه نحو(70) رجلاً من رؤساء البدور في عيد الأضحى عام (1329هـ 1911م) لمعايدته حسب العادة ونزلوا في (الضيف العمومي) وكانوا عازمين على اغتياله ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك لتحذره منهم فبعد معايدته ذهبوا بدون نتيجة ثم بعد أيام قلائل عاد إليه بعضهم بتلك العزيمة مظهرين (قصد المذاكرة) معه في بعض الأمور ونزلوا في المضيف كالعادة. وكان خاطرهم مطمئناً من عجيمي بيك لعدم ظهور حركة منه مغايرة للعادة أو تعبيس في وجوههم في مجيئهم الأول ظناً منهم بأنه لم يشعر بما تعازموا عليه من المكيدة.

وبعد استقرارهم أرسل إليهم عجيمي بيك يطلبهم لمقابلته في داخل قصره للمذاكرة فيما يريدون. وكان قد أمر حاجبه بأن لا يأذن لهم بالدخول دفعة واحدة بل يرسلهم مثنى. فصدع بالأمر وجعل عجيمي بيك كلما دخل

عليه اثنان أمر عليهما بنزع السلاح وبشد وثاقهما فاعتقل منهم(7) فأحس الباقون بأن كل من دخل القصر لا يخرج منه وخامرهم الخوف ففروا من المضيف ناجين بأنفسهم ولم يتمكن رجال عجيمي بيك من تأخيرهم أو اعتقالهم. ثم إن عجيمي بيك عرف والده بمن اعتقل من رؤساء البدور. وهم (ذياب بن شحم الزويد. وأخوه مسير. وجابر العطشان الشحم. وعباس العشيش شيخ الرسن. وعمير بن علي بن هندي) واثنان آخران منهما نايف بن عباس (الذي أطلقه عجيمي بيك بشرط أن يذهب إلى قومه فيعبرهم نحو والده سعدون باشا) ولما ذهب نايف المذكور إلى قومه جمعهم وانهزم بهم نحو عشائر (السماوة) فأرسل عجيمي بيك في أثرهم أناساً فأدركوا (نايفاً) في الطريق مع قومه فضربوه بالرصاص أمام قومه فخر قتيلاً ورجعوا إلى عجيمي بيك وأخبروه بذلك. ثم إن سعدون باشا أرسل إلى ابنه عجيمي بيك يأمره بقتل المعتقلين عنده فلم يستحسن عجيمي بيك قتلهم بل راجع أباه في أمرهم مستحسناً سجنهم في (أبي غار) محل قصر سعدون باشا الكائن في أرض الشامية. وأنه يحمل عشائرهم المهن الشاقة مدة حياتهم ويجعلهم وقت الحرب أمام جموعه. وهم بالطبع يضطرون للرضوخ أملاً في خلاص مشايخهم فيستفيد آل سعدون منهم فوائد جمة. فلم يوافق سعدون باشا ابنه على هذا الرأي بل ألزمه بقتلهم جميعاً. وتوعده بالشر إن لم يفعل ما أمره به فامتثل أمر أبيه فقتل ستة منهم وعفا عن السابع وهو (عمير بن علي بن هندي) بعد أن جز ناصيته لمعروف أسداه قديماً مع عجيمي بيك. فهذه خلاصة لسبب قتل مشايخ البدور.

ولما تسامعت عشائر المنتفق بقتل أولئك ولم تعلم حقيقة السبب هاجت وماجت وتعازمت على حرب سعدون باشا وخلع طاعته ومشت نحوه حتى حصرته في قطعة من أرضه ولم يكن معه إلا النزر القليل من رجاله. فطلب النجدة من الأمراء (خلفائه) فلم يسعفوه فاضطر إلى العبور إلى شط العرب ومنه ركب سفينة وأتى بها إلى البصرة طالباً النجدة من والي البصرة (لعله حسين جلال بيك) ليردع الأعراب الثائرين عليه فوعده الوالي بالمساعدة. ثم إن بعض أضداد سعدون باشا قلبوا فكرة الوالي وأفهموه عكس القضية فارتاب الوالي من سعدون باشا وأصدر أمراً بالقبض عليه وإرساله تحت المحافظة إلى بغداد ومنها إلى حلب لمحاكمته بها. فقبض وأرسل ولكن قبل انتهاء المحاكمة توفي سعدون باشا في حلب آخر عام (1330هـ 1912م) وكان قد أعقب من الذكور (ثامر بيك وعجيمي باشا. وحمد بيك. وسعود بيك. وعبد الكريم بيك).

قيام عجيمي باشا ابن سعدون باشا

إن مما لا ريب فيه هو أن قوة سعدون باشا كانت ناشئة عن حماسة ابنه عجيمي بيك وشجاعته. كما تقدم. وكان لما أبعد سعدون باشا إلى حلب ذهب ابنه عجيمي بيك إلى الأمير ابن رشيد فدخل (حايلاً) في سنة (1330هـ 1912م) ونزل على فراش (الأمير سعود باشا آل رشيد) فأقبلت عليه عشائر شمر للسلام عليه وتقدم له الهدايا والتحف من الأسلحة والخيل وهو يأبى قبولها معتذراً بأنه لم يجيء لطلب إمداد. وإنما يقصد منهم (طراد يوم واحد بل ساعة واحدة) على الضفير الذين كانوا هم السبب في إبعاد والده عن وطنه. فلبت عشائر شمَّر دعوته وتجمعت حوله.

ثم إن الأمير ابن رشيد حشد بقية الجنود مساعدة لعجيمي بيك. وخرجا من (حائل) كل يقود قسماً من الجموع حتى نزلا موضعاً يسمى شقرا(1) قرب الضفير. وأرسل لهم الأمير سعود باشا الرشيد رسلاً يأمرهم بالصلح مع عجيمي بيك. وكان الضفير متخوفين من تقرب ابن رشيد نحوهم. ولكن لما طلب الصلح منهم مع عجيمي بيك أطمأن خاطرهم ظناً منهم بأن رشيد لم يستعد لحربهم. فاغتروا بسوء رأيهم ورفضوا قبول الصلح. فأوفد إليهم ابن رشيد مرة ثانية أناساً آخرين يلتمس منهم ذلك (ليمكن الغرر فيهم) فرفضوا قبول الصلح وجاهروا للرسل أخيراً بأنهم مستعدون لحرب عجيمي بيك وغيره. ولما عادت الرسل فاجأتهم الجموع الشمَّرية في الموضع المسمى (جَوَّ حِمَارِ) وجرت بينهما معركة عنيفة دموية حملت فيها الجموع الشمَّرية حملة رجل واحد تحت قيادة الأميرين (ابن رشيد. وابن سعدون) حتى جعلتهم شذراً مذراً وذلك في ربيع الثاني عام (1330هـ 1912م).

ثم في محرم عام (1331هـ 1913م) غزا عجيمي بيك الضفير أيضاً وكانوا نازلين على الماء المعروف (بالشقرا) فأخذهم وغنم منهم لأنه كان قد بلغه بأنهم كاتبوا بعض الأمراء يستنجدونهم على حربه فعاجلهم بالمهاجمة حتى أضعف عزائمهم.

وفي سنة (1331هـ 1913م) اصطدمت باخرة انكليزية بالبارحة العثمانية المسماة (مرمريس) الراسية في مياه البصرة فحصل فيها طفيف

---

(1) شقرا في أرض المنتفق وهي غير شقرا التي في نجد. اهـ مؤلف.

ضرر أدى إلى أن تطالب الحكومة العثمانية من انكلترا مبلغاً جسيماً من الدراهم لأجل تصليحها.

ولما كان ما طلبته الدولة العثمانية مجحفاً ارتأت انكلترا بأن تجري تعمير تلك البارجة على نفقتها في الهند وبعد المذاكرة رضي الكل بذلك وانحسمت المسألة على ترميم تلك البارحة في بمبي.

فأصدرت الحكومة العثمانية أمرها بسير البارجة (مرمريس) إلى بمبي للتصليح. وحينما وصلت شرع في ترميمها بعد أن استلمت حكومة بمبي من قبطانها جميع الأسلحة والذخائر وأدخلتها في مستودع بقصد المحافظة عليها إلى أن يتم ترميم البارجة. فلما تم الترميم طلب قبطانها إعادة ما أخذ منه من الأسلحة والذخائر. فامتنعت حكومة بمبي من التسليم إلى أن يأتيها أمر من لندن بالتسليم وجرت المخابرات بين الدولتين في خصوص ذلك.

وكان المقصد من تعويق البارجة في الهند مسألة سياسية وهي إطالة المدة ريثما يجمع السيد طالب باشا النقيب ربعه وأعوانه فيحتل بهم البصرة ليستقل بها.

ولما أدركت الدولة العثمانية معنى تلك الدسيسة أوعزت سراً إلى عجيمي بيك السعدون بالمسير بجموعه نحو البصرة ليرهب السيد طالب فصدع عجيمي بيك بالأمر وزحف ببعض عشائره نحو البصرة حتى خيم خارجها في أواخر عام (1331هـ 1913م).

فاضطرب السيد طالب من قدومه وبطل ما كان عازماً عليه. وأرسل يستفسر عجيمي بيك عن سبب مجيئه ويطلب منه الابتعاد عن البصرة لئلا يحصل في البلدة تشويش من قدومه. فأجابه عجيمي بيك بقوله: كلانا عثمانيان والعراق أجمع أراضيه عثمانية فحيثما أحببنا نزلنا.

ثم إن عجيمي بيك أشاع بأنه لم يقصد البصرة إلا ليثأر من السيد طالب الذي سعى سابقاً في إغراء الحكومة العثمانية على والده حتى ألقت القبض عليه وساقته إلى حلب حيث توفي بها كما تقدم.

وظل عجيمي بيك مستقيماً خارج البصرة نحو أربعة أشهر ولما لم ير من السيد طالب تحفزاً للثورة استأذن الحكومة العثمانية في العودة إلى مقره فأذنت له بعد أن أصدرت أمرها بمنحه رتبة (باشا) تقديراً لخدماته التي أجراها مع الدولة. فدعي من يومئذ (عجيجي باشا). ولما عاد أرسل أخاه

(حمد بيك) إلى البصرة ليحل محله فقبل وصول حمد بيك إلى البصرة توجه السيد طالب إلى الكويت.

فجاء البصرة حمد بيك ونزل في العشائر ثم انتقل إلى داخل البصرة حيث نزل في محلة السيمر. ثم أتاه منضماً إليه سالم بن حسن الخيون رئيس بني أسد. فبعد مدة عاد السيد طالب إلى البصرة وقبل ولوجه إليها أرسل من (المحمرة) إلى والي البصرة يطلب منه إصدار الأمر بإخراج حمد بيك وأتباعه من البصرة وإلا أثار ثورة يحرق فيها البصرة. فالتمس الوالي من حمد بيك المبارحة حقناً للدماء وخوفاً من تداخل. الأجانب في شئون العراق لاسيما وأن جو السياسة كان مغبراً بقدوم الحرب العظمى.

فخرج حمد بيك من البصرة مع أتباعه امتثالاً لأوامر الدولة العثمانية حاقداً على السيد طالب فيما أجراه ضده. كما في تاريخ البصرة.

فدخل البصرة السيد طالب سنة (1332هـ 1914م) ولكن لم يهدأ روعه خوفاً من هجوم حمد بيك عليه.

فطلب من أهل قرية حمدان رجالاً يأتونه كل ليلة بعد العشاء فيبيتون، قرب (مخفر باب الزبير) للمحافظة عليه من هجوم آل سعدون. لأن قصر السيد طالب في تلك الجهة.

ثم في 23 رجب عام (1332هـ 1914م) عاد حمد بيك ومعه حمود ابن مطلق بن حمود السعدون مع جملة من رجالهما وهجم الكل على البصرة من جهة باب الزبير. فصدهم رجال الدرك المقيمون في المخفر هناك وانضم إليهم رجال حمدان ربع السيد طالب الذين أعدهم في ذلك الموضع فما تمكن حمد بيك من ولوج البصرة فعاد إلى قصبة الزبير.

فحسم السيد طالب الأمر عند الوالي وطلب منه إبعاد حمد بيك بالقوة عن البصرة ونواحيها.

وفي 24 رجب العام المذكور خرجت من البصرة قوة من الجنود يقودها (قدري بيك) وبصحبته جملة من حواشي السيد طالب وسار الكل نحو الزبير. وأطلقوا نيران البنادق على البلدة فقابلهم حمد بيك بالمثل. ثم اضطر للانسحاب واتجه نحو (كُويبدة) مقر عشيرة مطير بعد أن قُتل من قوم حمد بيك (7) وجرح(8). فدخلت حواشي السيد طالب قصبة الزبير ونهب عبد الكريم المشري بيت ابني عمه (محمد بيك وعلي بيك) ابني حسين باشا المشري.

ونهب رهط السيد طالب بيت محمد بن براك العصيمي وبيت علي باشا الزهير وبيت عبد المحسن باشا الزهير. وكذلك بيت قاضي البلدة. والكل كانوا ممن يلوذ بآل سعدون.

ولما انسحبت أعراب المنتفق من الزبير جعلت تتوعد شيخ الزبير الذي ساعد على نهب بيوت ربعهم وترتجز بقولها:

إن قدري العبد الكريم   اسلم ولا تسلم عليه[1]

إن قدر الله والرسول   من الفجر نُصلها عليه[2]

وكان عجيمي باشا لما تنحى عن نواحي البصرة قصد عشيرة مطير ليؤدبها. لأنها في أثناء تغيبه نحو البصرة أغارت على إبل (لسمير بيك السعدون) ابن عم عجيمي باشا الذي كان نازلاً في (إعلوى) هو ويوسف بيك السعدون فاستنصرا بعجيمي باشا فأتاهما مسرعاً واقتفى إثر عشيرة مطير حتى أدركها فضربها واسترجع منها المنهوبات وأعادها لأصحابها ثم عاد إلى مقره.

وبسبب هذه الحادثة حصل التنافر بين عجيمي ومطير إلى اليوم.

فاغتنم الفرصة السيد طالب باشا وتذاكر مع ولاة الأمور في البصرة حتى أقنعهم بمناوأة عجيمي باشا وذويه. فأصدر والي البصرة أمراً بإرسال (بارجة عثمانية) تسير مع عشيرة بني منصور لتضرب يوسف بيك وربعه لأنه كان نازلاً على شاطئ غدير (هور) هناك.

وعندما سمع عجيمي باشا هذا النبأ زحف بجموعه نحو يوسف بيك وسمير بيك وانضم لهما.

فجاءت البارجة وأطلقت مدافعها على منازل يوسف حتى هدمت قلعته المبنية هناك.

فاضطر يوسف بيك لأن يرفع عائلته وأثقاله إلى (الرُّميلة) وشرع عجيمي باشا يقاوم جنود تلك البارجة والعشائر المساعدة لها حتى أرغم الكل إلى التقهقر بعد أن فقدت جملة من الجنود. ثم عاد عجيمي باشا إلى (الخميسية) مظفراً بهذا التفوق.

---

(1) الطارشي في اصطلاحهم بمعنى الرسول.

(2) نصلها أي الخيل والمراد بأنهم يرسلون الخيل فتنصب على عدائهم ولها صليل.

وبعد وصوله الخميسية جاءه راكب من قبيلة شمر يستغيثه على عشائر مطير التي سلبت قومه تحت زعامة رئيسهم المسمى (بالأحمر).

فأمر في الحال عجيمي باشا قسماً من رجاله الفرسان بالذهاب لمناصرة قبيلة شمر. فصدعت بالأمر ومشت نحو مطير تحت رياسة (كنعان النهابة. وبرجس الخير الله) عبده الخاص. وأخذوا من الخميسية خيلاً من الحَصَّانة (بائعي الخيل).

لأن خيلهم كانت تعبى من المحاربة التي جرت مع رجال البارجة. فذهبت تلك النجدة في أثر (الأحمر) وقومه حتى لحقتهم عند (الحويضات) قرب (كابدة) وتنازلت معهم حتى تفوقت عليهم وأسرت الأحمر مع قسم من ربعه وجاءت بهم مأسورين إلى عجيمي باشا مع المنهوبات. ولما وصلوا الخميسية أرسل عجيمي باشا عبده الخاص (عودة الحسين) إلى الأسرى وأمره بقتل الأحمر رئيس العصابة وإطلاق سراح الباقين.

فذهب العبد نحوهم فصادف الأحمر مقبلاً مع رهطه قرب مقبرة الخميسية بقصد مواجهة عجيمي باشا فأطلق العبد علي الأحمر بندقيته فخر صريعاً في المقبرة وذلك عام (1331هـ 1913م).

وبعد ذلك رجع عجيمي باشا إلى مقره في (أبي صلابيخ) ذنايب الفضيلة على شاطئ الفرات عند نهر خطام[1].

ثم في سنة (1332هـ 1914م) ورد إلى عجيمي باشا مكتوب من والي بغداد (جاويد باشا) يخبره بقرب نشوب الحرب العظمى ويستنصره باسم الدين الكف عن المشاغبات الداخلية. فلبى طلبه على شروط وأرسلها له مع كاتبه الخاص (عبد الوهاب بيك ابن علي كاظم بيك) ليعقد معه اتفاقاً خاصاً لتجهيز العشائر بعد المصادقة على الشروط التي طلبها عجيمي باشا (فمنها) إبعاد السيد طالب باشا خصمه الألد عن البصرة.

ولما اتجه الرسول بالوالي. صادق الوالي على جميع ما طلبه عجيمي باشا وأراده.

---

(1) خطام سمي بذلك لكرم جده منصور باشا السعدون لأنه كان يأمر بأن يخطم أمام المارين فيؤمروا بالنزول في مضيفه. والخطام مقود الجمل. فشبهوا وقوف المعارضين لمن لم ينزل في المضيف كالخطام الذي يرد البعير عن مقصده.

فعاد عبد الوهاب بيك إلى عجيمي باشا وأخبره بموافقة الوالي جاويد باشا على مطالبه ومصادقته عليهما. فأرسل عجيمي باشا في الحال أخاه حمد بيك إلى رؤساء عشائر المنتفق يستنفرهم ويأمرهم بالذهاب بجموعهم نحو عجيمي باشا. فأسرعوا مهرعين إليه.

ففي رمضان عام (1332هـ 1914م) نشبت الحرب العظمى وتطورت السياسة حسب تطور الأمم. وهاجمت انكلترا (الفاو) في 17 ذي الحجة من العام المذكور واحتلته في 26 منه. فمشى عجيمي باشا بمن وصله من العشائر. وهم عشيرة الجوارين والشريفات. وقسم من البدور. وصحبه من بني عمه (صالح النصار السعدون. وشبلي بيك السعدون) وسار بالكل نحو البصرة للانضمام مع المجاهدين فوصلها في 27 ذي الحجة من العام المذكور واتجه مع جاويد باشا فأمره بالالتحاق مع الجنود المرابطة في (أبي مُغيره) فذهب واجتمع مع صبحي بيك والي البصرة والقائد العثماني للجنود هناك فرآه مضطرب الأحوال متزعزع الأركان بسبب انقتال (اليوزباشي) أركان حرب (سامي بيك) قائد جنود (الفاو) كما في تاريخ البصرة (ص 343).

ثم ورد إلى عجيمي باشا أمر من جاويد باشا يأمره بالرجوع إلى البصرة فامتثل الأمر ولما عاد وجد بأن جاويد باشا قد انسحب من البصرة بالجنود.

فاستقدم عجيمي باشا جماعته وقومه فعادت إلى البصرة حتى نزلت عند باب الزبير تحت رياسة يوسف بيك بن عبد الله بيك ثم إن عشائر البصرة جعلت تنهب البلدة. فأمرهم عجيمي باشا بالكف وعدم الأذية للأهالي.

ثم خطب في العساكر والجنود الباقية في البصرة ونواحيها والذين لم يتمكنوا من الالتحاق بالجنود المنسحبة. وقال لهم: من له أهل في البصرة فليذهب إليهم. ومن كان وطنه غير البصرة فليتبعنا وهو في الأمان حتى نوصله إلى مأمنه.

وقال: إني قد عفوت عما حصل من بعظم من الأذية حين انضمامكم مع قدري بيك في ضرب الزبير وضرب يوسف بيك. وإني متعهد للكل بالمساعدة التامة (وهذه الخطبة تعد أول معاهدة مع الترك) وجمع تلك الجنود ولم شعثها وسار بها إلى الزبير. فلما وصلها ارتابت غالب الجنود العثمانية من أن يغدر بهم عجيمي باشا إذا ابتعد بهم عن المدينة. لأنه بلغهم

بأن بعض حواشي عجيمي باشا قد أشار عليه بأن يقتل الجنود ويأخذ أسلحتهم وذخائرهم لأن غالب (قوادهم) كانوا ممن ضربوا عجيمي باشا وأباه من قبل.

فطلبوا من عجيمي باشا المعاهدة رسمياً مرة ثانية فعاهدهم حسبما أرادوا وأقسم بالله لهم على حسن نيته وصدقه معهم ومع كافة إخوانه المسلمين. فاطمأن خاطرهم وانسحبوا معه آمنين وجعل يحافظ عليهم ويتفقدهم حتى أوصلهم الخميسية. فدخلت الجنود الانكليزية البصرة في 2 محرم عام (1333هـ 1914م) 22 تشرين ثاني.

وفي 18 جمادى الأولى من العام المذكور هجمت بعض عشائر المنتفق بزوارق صغار (مشاحيف) على البصرة فلم تتوفق بسبب طغيان الماء الحاصل في تلك السنة كما في تاريخ البصرة (ص344) ولكنها غنمت بعض الذخائر والأسلحة وعادة بدون نتيجة.

وفي 18 جمادى الآخرة عام (1333هـ 1915م) حصلت (وقعة الشعيبة) الشهيرة(1) التي دامت ثلاثة أيام متوالية أبلى فيها عجيمي باشا بلاءٍ حسناً. ثم حصل سوء تفاهم بين قواد العرب والأتراك أدى إلى الفشل وإلى انتحار (سليمان بيك عسكر) القائد العثماني لجبهة العراق. فاضطر الكل للانسحاب تاركين غالب الأسلحة والمدافع لعدم وجود دواب تحملها أو تجرها. كما في تاريخ البصرة (ص344).

ولما أراد عجيمي باشا الانسحاب بعدهم أمر رجاله بأن يجروا المدافع المتروكة فجعلت أعرابه تسحبها حتى أوصلتها إلى الخميسية.

وكان مع عجيمي باشا إخوته وشرذمة من بني عمه وذويه وقليل من عبيده وخدمه يبلغ عدد الجميع (40) رجلاً. وعندما وصلوا الخميسية وجدوا العساكر العثمانية هناك. فأسسوا خطاً للحرب بقربهم وجعلوا يحفرون الخنادق ويستعدون للدفاع من جهة البر. ثم بلغهم بأن العدو قصدهم من جهة النهر. فزحفت الجنود العثمانية نحو (عكيكة) من طريق السفحة لتتقرب إلى النهر ومعهم الموعز العسكري (أحمد بيك أوراق) ومتصرف الناصرية (حمزة بيك) فصحبهم عجيمي باشا بعد أن جعل في خط الخميسية أخاه (حمد بيك) مع قسم من قومه احتياطياً من أن يهاجمهم العدو من جهة البر.

---

(1) قرية الشعيبة غربي البصرة على مسافة عشرة أميال. وتبعد عن قصبة الزبير بنحو ميلين.

ثم إن العدو تقدم وشرع يهاجمهم من جهة عكيكة ولكنه فشل في هجومه مراراً ولم يتمكن من النجاح فسعى في إمالة رؤساء العشائر حتى تمكن من إمالة (فرهود المغشغش) من عشيرة بني خيقان بإطماعه بالدراهم حتى امتطى متن الخيانة وأطلعهم على مسلك يساعدهم على سقوط الخطوط العثمانية بدون حرب.

ولما بلغ العثمانيين ذلك الخبر وأن العدو سلك ذلك الطريق اضطروا للانسحاب خوفاً من المحاصرة فسقطت عكيكة وبسقوطها سقط (سوق الشيوخ) فدخلته الجنود الانكليزية في أول رمضان عام (1333هـ 1915م) أيضاً. ثم ذهب العثمانيون وأسسوا خطاً آخر للحرب في موضع يقال له (مجينينة) يبعد عن الناصرية بنحو (7) أميال شرقاً أي بين الناصرية وسوق الشيوخ. ثم شرعت الحرب بين الفريقين هناك.

وكان عجيمي باشا مع القوة العثمانية وهناك تبلغ من قبل القائد العام العثماني في بغداد بأن يذهب إلى الخميسية ويضبطها من مهاجمة الأعداء حتى لا يتمكنوا من التقدم إلى الناصرية براً. فلبى ذلك الأمر وذهب إلى الخميسية وأخذ بزمام الأمر فيها وحافظها. وحفظ الذخائر والأرزاق التي كانت هناك للعثمانيين تحت عهدة (حسن أفندي مأمور الإعاشة) ومحافظ (بلك) البغالة (إسترسوار) الذي كان يرأسه (اليوزباشي) إياس بيك. وكان في معيته من الضباط عبد الرزاق أفندي، ومولود مخلص، وكان لما سقط سوق الشيوخ فر الضابطان عبد الرزاق ومولود مخلص والتحقوا بالجنود الانكليزية فبقى إياس بيك منفرداً بنفسه.

فألفتت قواد الانكليز أنظارهم إلى إقناع (ثامر بيك ابن سعدون باشا) حتى أقنعوه وطلبوا من عبد العزيز بن سليمان السعدون ومن إخوته المساعدة مع ثامر بيك على استخلاص الخميسية من سيطرة عجيمي باشا.

فتعدوا بذلك وذهبوا إلى الخميسية وبصحبتهم السيد إبراهيم البعاج فوصلوها قبل مجيء عجيمي باشا ولكنهم وجدوا هناك قوة لا طاقة لهم بمقاومتها فلم تعارضهم ولكنها أرسلت تراجع عجيمي باشا في مجيء هؤلاء.

فأرسل في الحال عجيمي باشا أخاه حمد بيك وبصحبته غالب العمر. ليقنعاهم بالرجوع عن الخميسية والكف عن الأذية فلم يلتفتوا إلى قولهما. فأخبروا عجيمي باشا بما جرى بينهما فعند ذلك توجه عجيمي باشا بنفسه إلى الخميسية ليلاً وعندما سمعوا بمجيئه فروا من البلدة بدون مقاومة.

فضبط عجيمي باشا إدارة البلدة وبقي يدير شئونها إلى أن سقطت الناصرية.

وذلك لأن العدو لما عجز عن التقدم من جهة النهر وظل حائراً. وجد من أرشده إلى إمالة (سلطان بن مناحي) من عشيرة الحسينات فنجح بانضمامه له. فدلهم سلطان المذكور على مسالك توصلهم إلى الناصرية من جهة الغدير (الهور) ليقطعوا خط الرجعة على العثمانيين. ولما شعر العثمانيون بذلك انسحبوا من خطوطهم بانتظام إلى (الكوت) والتحقوا بجنودهم هناك.

فتقدمت الجنود الانكليزية ودخلت الناصرية في 9 رمضان عام (1333هـ 1915م).

وأما عجيمي باشا فإنه بعد سقوط الناصرية انسحب مترفعاً إلى محل يقال له: (المليّة) التي تبعد عن (الخضر) بنحو (7) أميال غرباً. وتبعد السماوة بنحو (16) ميلاً جنوباً. وهناك قصدهم العدم من جهة النهر ومن جهة البر.

فجعل عجيمي باشا أخاه سعود بيك(1) في الرَّمليْة مع قسم من العشائر وتقدم هو ببقية عشائر مع الجنود العثمانية نحو النهر وحفروا هناك خنادق وكمنوا فيها.

فأما القوة الانكليزية الزاحفة من جهة البر فكان بصحبتها (الضفير والبدور) وعندما وصلوا الرملية تصادموا مع سعود بيك فكافحهم حتى دحرهم خائبين.

وأما القوة الانكليزية السائرة من جهة النهر على ظهور البوارج فهي مؤلفة من الشرطة تحت قيادة أشخاص من المنتفق يرأسهم (علي بن عبد الله المنتفقي) وحينما حاذوا الخطوط العثمانية جعلوا يمطرونها بوابل القنابل وبرصاص الرشاشات فقابلوها بالمثل حتى صدوها عن النزول إلى البر ولم تتمكن تلك القوة النهرية من البقاء هناك فاضطرت لأن تتقهقر بعد أن أصيب قائدها (علي بن عبد الله) في يده حتى انشلت. وقتل من كبار الشرطة يعقوب بن سريدح السليم. لاسيما وقد بلغها انكسار القوة البرية أمام سعود بيك كما تقدم.

---

(1) سعود بيك بن سعدون باشا ولد سنة (1318هـ 1900م).

ثم بعد أيام أرسلت انكلترا على عجيمي باشا وربعه سرباً من الطيارات فأمطرتهم بمقذوفاتها. فصابروا ورابطوا ولم تضرهم مضرة تذكر لتحفظهم وتحذرهم. وظلت مدة أيام تروح وتغدو عليهم في كل أسبوع بدون نتيجة.

وبقي عجيمي باشا مرابطاً في الرَّملية مع الجنود العثمانية على تلك الحالة الحرجة مهددين من جهة النهر والبر إلى سقوط (الكوت) عام (1335هـ 1917م) حيث ورده التبليغ بأن البقاء في موضعه لا يجدي نفعاً. وعليه يجب إرسال الجنود التي معه إلى (العرضى) في بغداد. وهو مخير في نفسه في الرحيل وعدمه. فوجه عجيمي باشا العساكر جميعها إلى العرضي حسب الأمر. وارتحل هو من الرَّملية مغرباً حتى نزل وظل هناك مرابطاً على أن بلغه سقوط بغداد في 15 جمادى الأولى عام (1335هـ 1917م) 11 مارس كما في تاريخ البصرة (ص345). وبسقوط بغداد انقطعت المخابرات الجارية بينهم وبين الدولة العثمانية لعدم وجود طرق للمخابرات.

ثم إن عجيمي باشا كاتب رؤساء عشائر عنزة يستأذنهم في المرور على أراضيهم ليتجه نحو الشمال عله أن يجتمع بالعثمانيين. فامتنع (فهد بن عبد المحسن الهذال) رئيس عنزة جمعاء من قبول المرور على أرضي عنزة قاطبة.

وأما ابن عمه (فهد بن دغيم الهذال) فإنه أذن لعجيمي باشا بالمجيء إلى أراضيه والمرور عليها مساعدة إسلامية. وأرسل له خطاً بذلك قال فيه: (إننا نترك العداوة القديمة بيننا لوقت آخر. وأما اليوم فإنه يجب علينا أن نتفق مع إخواننا المسلمين في الجهاد ضد الأعداء) فارتحل عجيمي باشا ميمماً أراضي عنزة حتى خيم بجوار الشيخ فهد بن دغيم الهذال. فغاظ ذلك الأمر فهداً بن عبد المحسن وأرسل إلى قائد جيش الاحتلال الانكليزي يطلب منه قوة ليمشي بها على عجيمي باشا فلبى طلبه ووجه إليه فرقة من الجنود الانكليزية تحت قيادة الكولونيل لجمن[1] ولما بلغ عجيمي باشا خبر

---

(1) لجمن هذا هو الذي قتله الشيخ ضاري بن محمود رئيس عشيرة الزوبع. وذلك أنه في سنة (1338هـ 1920م) حدثت ثورات في العراق المراد منها طلب (الاستقلال التام) وأهمها ما قامت به عشيرة الزوبع حيث أدت إلى طلب (الكولونيل لجمن حاكم منطقة لواء الديلم السياسي) حضور رئيس قبيلة الزوبع الشيخ ضاري المذكور للمقابلة في (خان النقطة) الواقع بين بغداد وفلوجة.

زحف الجنود الانكليزية نحوه بادر في تظعين عائلته وأثقاله ووجههم إلى ماء يبعد عن موضعه بنحو أربع مراحل، واستعد هو في محله للقاء الأعداء فهاجمته الجنود الانكليزية في ثاني يوم وجرت بينهما معركة عنيفة دامت بضع ساعات وكان النصر فيها حليفه. ثم أتاه مساءً ينبئ بأن غالب عشائر

فامتثل الشيخ ضاري الأمر وجاء بنفسه لمواجهة الحاكم في 27 ذي القعدة عام (1338هـ 1920م) 12 اغستوس وكان بصحبته ابنه (خميس) وثلة من رجالة وقعد عند مدخل الخان الذي كانت تحتله قوة من الشرطة. لأن الحاكم لجمن لم يكن حاضراً وبعد برهة من الزمن حضر ومعه خادمه وسائق (جواله) فدخل واصطحب معه الشيخ ضاري إلى داخل الخان. وأخذ يتحدثان في شأن الزراعة ومحصولاتها وبينما هما كذلك إذا أقبلت جماعة من الأعراب مخبرة بأن عصابة من اللصوص هاجمتهم في الطريق فسلبتهم بعض مؤنهم. فأصدر الحاكم في الحال الأمر إلى ضابط الدرك بالمسير مع قسم من رجال الدرك لتعقب العصابة القاطعة للطريق وأمره أيضاً بأن يصحب معه بضعة من رجال الشيخ ضاري فصدع بالأمر وسار نحو العصابة ثم بعد ذلك جعل الكولونيل لجمن يعاتب الشيخ ضاري ويوبخه على التعصب ثم أغلظ القول معه حتى أمس بعواطفه ثم ألقى على عاتقه تبعة الإخلال بالأمن ونسب إليه وإلى قومه وقوع تلك الحادثة. فتأثر الشيخ ضاري من حملات الحاكم المؤلمة عليه فاستأذن للخروج فأذن له. قم بعد هنيهة عاد فاستأذن الخفير بالدخول على الحاكم فأذن له فدخل عليه ومعه ابنه (خميس) ورجل آخر من أفراد أسرته وعندما عاينوا لجمن بادر خميس بإطلاق الرصاص عليه فخر متردياً ونظر إلى الشيخ ضار قائلاً له: (إلى هذا الحد تبلغ بك الخيانة) فعند ذلك ضربه الشيخ ضاري بسيفه فقضى على حياته. وبقتله انهدم أعظم أركان الجيوش المحتلة لأنه كان من كبار الضباط البريطانيين العارفين بأحوال العراق وتقاليد أهله معرفة واسعة لاسيما وأنه معدود أيضاً في فحول الرجال الذين اشتركوا في المعارك التركية الانكليزية في العراق فأظهر فيها مهارة تامة.

ثم بعد مدة أرسلت الحكومة البريطانية قسماً من الجنود إلى (خان النقطة) وأطلقت مدافعها على (قلعة الشيخ ضاري) فنسفتها في 6 محرم عام (1339هـ 1920م) 20 أيلول. وقطعت الماء عن مزارعه فذهب وانضم مع الثوار في أواسط الفرات إلى أن نال العراق استقلاله. في (1339هـ 1921م). ولما حصل العفو العام عن جميع السياسيين والمجرمين لم يشمله ذلك العفو فترفع مع قومه إلى خارج الحدود العراقية وظل هناك إلى سنة (1346هـ 1927م) حيث هاض عليه مرضه المزمن فاستحسن الذهاب لسورية ليتداوى فيها واستأجر (جوالاً) كان سائقه أرمنياً وتوجه نحو الشام فخانه سائق الجوال وعكف به نحو العراق حتى أنزله عند مخفر في الحدود فألقي القبض عليه في جمادى الآخرة من العام المذكور وأرسل تحت المحافظة إلى بغداد حيث حوكم وهو مريض ثم حكم عليه بالسجن الأبدي مع تحميله المشاق. فقضى نحبه في السجن بعد الحكم عليه بيوم واحد وذلك في 3 شعبان عام (1346هـ 1928م) 25 ك2. فارتجت لموته بغداد وحصلت فيها مظاهرات شديدة عجيبة الهيئة نشرت تفاصيلها الجرائد والمجلات ودفن بجوار ضريح (الشيخ معروف الكرخي).

ثم في عام (1347هـ 1928م) أذنت حكومة العراق للشيخ خميس بن الشيخ ضاري المحمود بدخوله العراق. ا هـ مؤلف.

عنزة تريد الانضمام مع الجنود الانكليزية ضده فخشي من البقاء في مكانه خوفاً من الفشل فيما إذا حصلت معركة أخرى. فأدلج في تلك الليلة قاصداً أهله حتى نزل على عائلته سالماً. ثم ظعن بهم متباعداً عن أراضي عنزة إلى أن خيم في أراضي شمر. وهناك أبقى عائلته وأثقاله مع قسم من رجاله وخدمه يرأسهم أخوه (سعود بيك) وذهب في خاصته مع بعض خدمه نحو العثمانيين حتى أدركهم والتحق بهم وظل معهم يسير بسيرهم ويتحرك حسب إرادتهم. فلما تأكد لديهم صدقه وصداقته لهم أكرموه إكراماً جزيلاً وأعزوه إعزازاً عظيماً ثم منحوه في سنة (1336هـ 1918م) بلدة (كرموش) بملحقاتها يستغل حاصلات زراعتها لنفسه (وهي من ملحقات أورفة) وبقي هناك إلى اليوم معظماً مبجلاً. وله من الولد (مطشر بيك. ونجم بيك. وسعدون بيك).

المنتفق زمن الحكومة العراقية

أما مدن المنتفق وقراها فقد تشكل في غالبها دوائر ملكية رسمية. وأما العشائر فهم خاضعون لرؤسائهم كعادتهم القديمة فتفصل بينهم في صغار الأمور وأما كبارها فترفع إلى مراكز الحكومة الرسمية.

وأما الأعراب النائية فإنهم جعلوا يتطلبون رئيساً يرأسهم ليدير شئونهم طبق عوائدهم المألوفة عندهم. وقسم من وجهائهم ترشحوا للاستخدام عند الحكومة. وبعد أن نال العراق استقلاله سنة (1339هـ 1921م) توج الملك فيصل بن الشريف حسين بن علي ملكاً على العراق في 19 ذو الحجة موافق 23 أغسطس من العام المذكور.

تعين يوسف بيك بن عبد الله بيك بن منصور باشا بن راشد السعدون شيخاً على قسم من أعراب العراق المستخدمين للدرك والمعبر عنهم (بالهجانة) وأعطته الحكومة العراقية أسلحة وذخائر فجمع يوسف بيك حاشيته وظهر بها إلى البادية ليحافظ على العشائر والأعراب زمن الانتجاع في فصل الربيع كالعادة. وجعل له مقراً معيناً بنفسه. وفرض على الأعراب رعاة الشياه قسماً من الشأن والمعز يأخذه منهم سنوياً ثم لما درج أمره واستتبت له الرياسة أغارت عليه (الوهابية) عشائر نجد سنة (1344هـ 1926م) فكافحهم أشد الكفاح فتفوقوا عليه حتى كسروه فتفرقت عنه الجموع. فطلب النجدة من الحكومة العراقية فلم تسعفه. فأعرض عنها وأرسل من قبله رسولاً إلى الأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن السعود (ملك الحجاز وسلطان نجد) طالباً الانضمام إليه والدخول تحت حمايته.

فرحب به وأجاب طلبه وأقره على منصبه (يرأس عشائر المنتفق) ثم أرسل له (إماماً دينياً. مع آخر سياسياً كالمستشار) فاقتفى يوسف بيك خطة الوهابية وظل عل تلك الحالة جاعلاً مركزه على ماء يسمى (صفوان) غربي البصرة على مسافة نحو 15 ميلاً منها وبقي مستمراً على تلك الحالة إلى أن تاقت نفسه لغزو الضفير. فتهيأ للإغارة عليهم ولم يستأذن الأمير ابن سعود في ذلك. ومشى نحو الضفير وتواقع معهم ثم عاد غانماً إلى مقره.

ولما بلغ الأمير ابن سعود خبر ما أجراه بدون إذن غضب عليه وسحب منه (الإمام والمستشار) فأخفق يوسف بيك في مسعاه. واضطر إلى الرضوخ للحكومة العراقية. وأرسل يلتمس الانضمام إليها مع العفو عما جرى منه وأبدى أعذاراً لذلك فقبلت عذره وعفت عنه. ثم ترشح لخدمة الحكومة وجعل يضمن (الكودة) زكاة الغنم. ثم قدم عريضة يطلب فيها سكنى (إعلوي) موضع على غدير متشعب من الفرات شمال قصبة الزبير على مسافة نحو (30) ميلاً ليزرع في تلك الأراضي حبوباً بمساعدة بعض ربعه واشتراكهم فيها سوية. فأوعدته الحكومة بالإذن.

وهذا آخر ما كتبناه عن أحوال المنتفق باختصار راجين من أفاضل القراء (إقالة عثرة القلم، إن ألم).

جدول الوفيات

سنة هجرية

1193 قتل ثامر بن سعدون بن محمد في بعض المعارك ضد خزاعة.

1238 قتل علي بن ثامر بن سعدون أثناء محاصرة الزبير.

1280 في أج توفي الشيخ بندر بن ثامر في بغداد ودفن في مقبرة (الشيخ عمر السهر وردي).

1301 توفي ناصر باشا بن راشد في الآستانة.

1304 توفي منصور باشا بن راشد في بغداد ودفن بجوار (الشيخ عبد القادر الجيلاني).

1314 في صفر توفي فهد باشا بن علي بن ثامر ودفن في (الحي) بجوار ضريح (سعيد بن جبير).

1318 في رجب توفي الشيخ ناصر آل صقر ودفن في الشامية.

1320 في 20 شوال توفي سليمان بيك بمنصور باشا ودفن في الشامية.

1325 في 24 شوال توفي فالح باشا بن ناصر باشا ودفن في مقبرة الزبير.

1327 في محرم توفي مزعل باشا بن ناصر باشا في (الغموقة) التابعة لقضاء الشطرة ودفن بجوار ضريح (السيد أحمد الرفاعي) في الجزيرة.

1327 توفي مهلهل باشا بن مزيد باشا بن ناصر باشا ودفن في مقبرة الزبير بجوار ضريح (الحسن البصري).

1331 توفي مزيد باشا بن ناصر باشا في الشامية.

1348 في 12 جمادى الآخرة انتحر عبد المحسن باشا بن فهد باشا

ابن علي السعدون في بغداد.

1348 في 16 جمادى الآخرة يوم ب توفي الشيخ عبد الهادي ابن منصور بن فارس بن مهنا الصقر في الجزيرة.

1348 في 19 جمادى الآخرة يوم هـ توفي الشيخ راشد ابن عبد المحسن ابن ثامر الصقر. في الجزيرة أيضاً.

تم بعون الله وحسن توفيقه (تاريخ المنتفق) من كتاب التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية.

مع تحيات د. سلام حسين الهلالي

salamalhelali@yahoo.com

https://www.facebook.com/salam.alhelali

https://www.researchgate.net/profile/Salam_Alhelali?ev=hdr_xprf

07807137614

